سِلْسِلَةُ الْعَقَائِدِ

٤

الأَيمانُ باليَوْمِ الآخِرِ وَبالقَضَاءِ وَالقَدَرِ

بقلم
فضيلة الأستاذ
أَحْمَد عِزّ الدِّين البَيَانُوني
رحمه الله تعالى

دَارُ السَّلَامِ
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أقسام العقائد الإسلامية

العقائد الإسلامية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية ، تحت كل قسم منها فروع كثيرة :

١ ـ القسم الأول : الإلهيات

وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى ، من حيث صفاته ، وأسماؤه ، وأفعاله .

ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادها من العبد لمولاه تبارك وتعالى .

٢ ـ القسم الثاني : النبوات

وتبحث فيما يتعلق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من حيث صفاتهم ، وعصمتهم ، ومهمتهم ، والحاجة إلى رسالتهم .

ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضي الله عنهم ، والمعجزة والكرامة والكتب السماوية .

٣ ـ القسم الثالث : الروحانيات

وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي ، كالملائكة عليهم الصلاة والسلام ، والجن ، والروح ..

٤ ـ القسم الرابع : السمعيات

وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلامات الساعة ، والبعث ، والجزاء ، والقضاء والقدر .



السّمعيّات

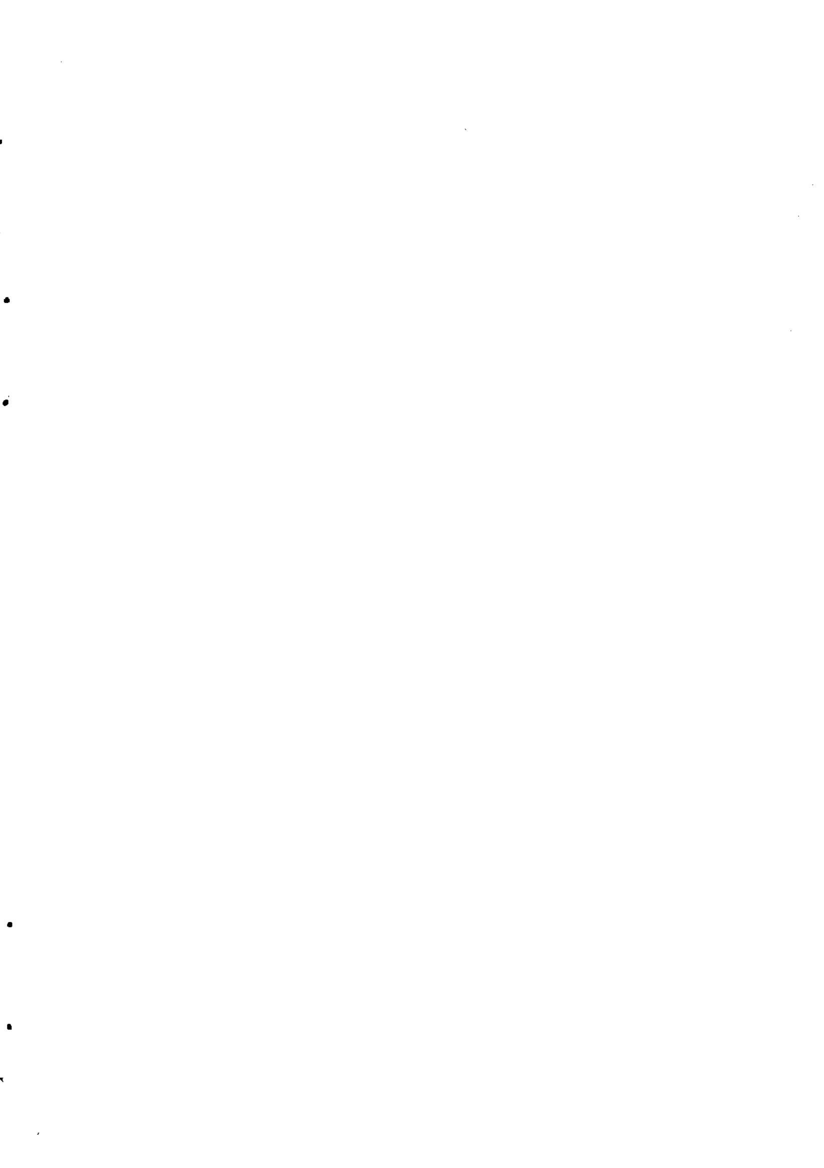
الإيمان باليوم الآخر

قال الله تعالى :

﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (١) .

---

(١) ١٣٦ ـ النساء .



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

يمر الإنسان في أربعة أطوار من الحياة :

١ ـ الطور الأول : حياته وهو جنين :

فـــالجنين في بطن أمـــه كائن حي ، يحس ويتحرك ، ويتـألم ، وينمو ، ويمرض ويصحَّ ... إلى أن يقضي فيـه الـزمن المعين الذي قدّر له .

ثم ينقل إلى هذه الحياة طفلاً ضعيفاً كما نراه .

قـال الله تعـالى : ﴿ **ونقرُّ في الأرحـام مـانشـاء إلى أجـل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ...** ﴾[1] .

٢ ـ والطور الثاني : حياته في الدنيا :

ثم ينتقـل من ضيـق الرحم ، إلى هـذه الحيـاة الفسيحـة ، فيحيـا فيهـا حيـاة لا شبـه بينهـا وبين حيـاتـه وهو في الطور

---

(١) ٥ ـ الحج .

الأول في بطن أمه . فقد أصبح يتغذى من فمه ، ويبصر بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويبطش بيديه ، ويمشي على رجليه ...

حتى إذا بلغ أشُده واستوى ، منحه الله عقلاً ، وآتاه علماً ، وبقي في هذه الدنيا إلى أجله المحتوم ... ثم يموت .

وهذان الطوران نراهما بأعيننا ، وندرك الفرق الشاسع بينهما .

٣ - والطور الثالث : حياته وهو في البرزخ :

فإذا مات انتقل من هذه الحياة ، إلى حياة برزخية ، تنفصل فيها الروح عن الجسد ، ويتنعم فيها أو يعذب .

قال الله تعالى : ﴿ **وحاق بآل فرعون سوء العذاب : النارُ يُعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[1] .

---

(١) ٤٥ ، ٤٦ - غافر .

ومر النبي ﷺ بقبرين ، فقال :

« إنهما يعذَّبان ، وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » [(١)] .

والبرزخ : هو أول عالم من عوالم الآخرة .

وشأن البرزخ أننا نطلع فيه على أحكام طرفيه . ولهذا ورد أن أهل البرزخ ، يُشرفون على أحوال أهل الدنيا والآخرة .

وقد أُمرنا أن نسلم على الأموات ، ونقوم على قبورهم ، وهم يسمعون ، ويشعرون كأهل الدنيا بل أقوى .

ففي الحديث الشريف : أتاني جبريل فقال :

« إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع ، فتستغفر لهم .

فقالت عائشة رضي الله عنها : كيف أقول لهم يارسول الله ؟

قال : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين

---

(١) البخاري ومسلم .

والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ـ أي: في الموت ـ وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون »[١] .

فالبرزخ إذن يكون فيه الطور الثالث من أطوار الحياة .

وما أشبه ساعة النزع بساعة الولادة ، التي ينتقل فيها الجنين من حياة ضيقة في طراز ضيق ، إلى حياة فسيحة ، ذات نطاق أوسع وأكمل .

٤ ـ والطور الرابع : حياته في الآخرة :

ثم تقوم الساعة ، ويُبعث الناس ، ويُحشرون ، ويحاسبون على أعمالهم .

﴿ ... فمنهم شقي وسعيد . فأما الذين شَقُوا ففي النار ، لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد .

وأما الذين سُعدوا ، ففي الجنة خالدين فيها مادامت السمٰوات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، عطاء غير

---

(١) مسلم .

مجذوذ ﴾ [١] . ـ أي:غير مقطوع ـ

والله تعالى حين أخبرنا بما يستقبلنا من الطورين الأخيرين ، ومهّد للإيمان بهما ، بالطورين الأولين ، اللذين نراهما بأعيننا ؛ وهما :

حياتنا ونحن أجنة في بطون أمهاتنا ، وحياتنا هذه في الدنيا .

فالخالق العظيم القادر الذي جعل هذا التفاوت العجيب بين هذين الطورين من أطوار الحياة ، قادر أن يجعل التباين أكبر ، والتفاوت أعظم ، بين حياتنا هذه ، وحياتنا في البرزخ ، ثم بينها وبين حياتنا في الآخرة ، دار النعيم المقيم ، أو العذاب الأليم .

فلا ينبغي أن يعظُم علينا حين يخبرنا النبي ﷺ :

« أن أهل الجنة يتنعمون فيها ، ويأكلون ويشربون ، ولا يتغوّطون ولا يبولون ، ولا يمتخطون ، وأنهم مخلّدون في هذا

---

(١) ١٠٥ ـ ١٠٨ هود .

النعيم ، لا يبلى شبابهم ، ولا تفنى ثيابهم ...

وأن أهل النار يعذّبون فيها ، كلما نضِجت جلودهم ، بدّلهم القوي القدير جلوداً غيرها ، ليذوقوا العذاب ، خالدين فيه ...

إلى غير ذلك مما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى .



متى الساعة ؟

قال الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ [١] .

قل : إنما علمها عند ربي ، لا يجلّيها لوقتها إلا هو . [٢] **ثقلت في السموات والأرض** [٣] **لاتأتيكم إلا بغتة** [٤] ﴾ [٥] .

وفي الحديث الشريف : « لتقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه .

ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ـ أي: ناقته القريبة العهد بالنتاج ـ فلا يطعمه ـ أي: فلا يذوقه ـ

ولتقومنَّ الساعة ، وهو يليط حوضه ـ أي: يطيّنه ويصلحه ـ فلا يسقي فيه .

---

(١) أي متى ظهورها وقيامها

(٢) أي لايظهرها لوقتها المعين ، إلا الله عز وجل .

(٣) أي ثقل أمرها ، وخفي علمها .

(٤) أي فجأة على حين غفلة من الخلق .

(٥) ١٨٧ ـ الأعراف .

ولتقومنَّ الساعة ، وقد رفع أُكلته ـ أي:لقمتـه ـ إلى فيـه ، فلا يطعمها »[١] .

من علامات الساعة

إن للساعة علامات ، منها ما يلي :

١ ـ بعثة نبينا محمد ﷺ :

ففي الحديث الشريف : « بُعثتُ أنا والساعة هكذا ـ ويشير بأصبعيه فيمدهما ـ

وفي روايـة : بعثت أنـا والسـاعـة كهـاتين ، وضم السبابة والوسطى »[٢] .

٢ ـ خروج النار :

ففي الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة ، حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الإبل ببصرى »[٣] .

بلد على ثلاث مراحل من دمشق .

(١ و ٢ و ٣) البخاري ومسلم .

٣ ـ وفاته ﷺ ، وفتح بيت المقدس :

عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال :

أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك في قبة من أَدَم ـ أي: من جلد ـ

فقال : « أعددْ ستاً بين يدي الساعة :

موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موَتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم ـ وهو دود صغير يظهر في رءوس الغنم فيهلكها ـ ثمْ استفاضة المال ـ أي: كثرته ـ حتى يعطى الرجل مئة دينار ، فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ـ وهم الروم ـ فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ـ أي: راية ـ تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً »[1] .

---

(١) البخاري .

٤ ـ الدخان والدجال :

عن حذيفة الغفاري رضي الله عنه أنه قال :

اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر .

فقال : « ما تذكرون ؟ »

قالوا : نذكر الساعة .

قال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات :

فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى المحشر » [١] .

٥ ـ قتال المسلمين اليهود :

ففي الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل

---

(١) مسلم .

المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر :

(يامسلم ، ياعبد الله ، هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله) إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود »[1] .

٦ ـ غربة الإسلام :

ففي الحديث الشريف : بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء .

قيل : من هم يارسول الله ؟

قال : الذين يَصلحون إذا فسد الناس .

وفي رواية : اللذين يفرّون بدينهم من الفتن .

وفي رواية أخرى : الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي .

وفي رواية خامسة : قال : قوم قليل في ناس سوء كثير ،

---

(١) مسلم .

من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[١] .

٧ ـ ظهور المهديّ :

اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من أهل البيت يسمى : المهدي ، يستولي على الممالك الإسلامية ، ويتبعه المسلمون ، ويعدل بينهم ويؤيد الدين ، وبعده يظهر الدجال ، وينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيقتله .

وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرّجها أكابر المحدثين : كأبي داود والترمذي وابن ماجه والطبراني وأبي يعلى والبزار والإمام أحمد والحاكم رضي الله عنهم أجمعين .

ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلها .

أما ما روي من حديث : « لامَهْديّ إلا عيسى ابن مريم » .

---

(١) مسلم .

فضعيف كما قال البيهقي والحاكم وغيرهما .

٨ ـ نزول عيسى عليه الصلاة والسلام :

في الحديث الشريف : « والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حَكَماً مُقسِطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ـ أي: يبطلها فلا يقبل إلا الإسلام ـ ويَفيض المال ـ أي: يكثر ـ حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها .

ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه ـ راوي الحديث ـ واقرءوا إن شئتم :

﴿ وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ [١] .

٩ ـ طلوع الشمس من مغربها :

في الحديث الشريف : « إن أول الآيات خروجاً ـ أي : الآيات غير المألوفة ـ طلوع الشمس من مغربها ، وخروج

---

(١) ١٥٩ ـ النساء . والحديث رواه البخاري ومسلم .

الدابة على الناس ضحى ، وأيتها ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً » [١] .

١٠ - لاتقوم الساعة إلا على شرار الخلق :

في الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله » [٢] .

وفي رواية : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق » [٣] .

وفي حديث آخر : « لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع بن لكع » [٤] .

واللكع : اللئيم ، والمراد هنا الكافر .

هذا ، وليس فيما ورد من علامات الساعة ، ما يفيد ترتيبها في الوقوع ، إلا أن أولها مبعث رسول الله ﷺ ، وآخرها خروج الدابة ، فموت المسلمين بريح تخرج من اليمن .

(١ و ٢) مسلم .
(٣) البخاري ومسلم .
(٤) الترمذي .

فضل العبادة في آخر الزمان

في الحديث الشريف : « العبادة في الهَرْج كهجرة إليّ »[١] .

والهرج : كثرة الفتن والقتل .

وفي حديث آخر : يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر[٢] .

حلول البلاء بكثرة العصيان

عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال :

« يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ ومسخ وقذف ـ أي رمي بالحجارة ـ

قلت : يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟!

قال : نعم ، إذا ظهر الخَبَث ـ يعني المعاصي ـ »[٣] .

(١و٣) الترمذي .

(٢) مسلم .

وفي روايـة : قـال رجل من المسلمين : يـارسـول الله ومتى ذاك ؟

قال : « إذا ظهرت القَينات والمعازف ، وشربت الخمور » .

والقينات : المغنيات . والمعازف : آلات اللهو والطرب .

لاتزال طائفة على الحق

في الحديث الشريف : « لاتزال طائفـة من أمتي على الحق ظاهرين ، لايضرهم من يخذلهم ، حتى يأتي أمر الله » [١] .

الموت

قال الله تعـالى : ﴿ ولقـد خلقنـا الإنسـان من سلالـة من طين .

ثم جعلنـاه نطفة في قرار مكين .

ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغـة ، فخلقنـا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأنـاه خلقـاً آخر ، فتبارك الله أحسـن الخالقين .

---

(١) مسلم .

ثم إنكم بعد ذلك لميتون .

ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ [١] .

وقال عزوجل : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [٢] .

والموت : هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقة وحيلولة بينهما ، وتبدّل حال بحال ، وانتقال من دار إلى دار .

ولكل مخلوق أجل ، وأجل كل ذي روح بحسب علم الله واحد ، لاتعدّد فيه ، والمقتول لم يمت إلا بحسب انقضاء أجله ، في الوقت الذي علم الله تعالى أزلاً حصول موته فيه ، ولو لم يقتل لمات في ذلك الوقت .

قال الله تعالى : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ [٣] .

---

(١) ١٢ ـ ١٦ المؤمنون .

(٢) ١٨٥ ـ آل عمران .

(٣) ٣٤ ـ الأعراف .

ثناء الناس على الميت

عن أنس رضي الله عنه أنه قال :

مَرَّوا بجنازة فأثنوا عليها خيراً .

فقال النبي ﷺ : « وَجَبت »

ثم مرَّوا بأخرى ، فأثنوا عليها شراً .

فقال النبي ﷺ : « وَجَبتْ »

فقال عمر رضي الله عنه : ما وجبتْ ؟

فقال : هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة .

وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار .

أنتم شهداء الله في الأرض » [١] .

وفي حديث آخر : « أيُّما مسلم شهد له أربعة بخير ، أدخله الله الجنة .

قالوا : وثلاثة ؟

قال : وثلاثة .

قالوا : واثنان ؟

---

(١) البخاري ومسلم .

قال : واثنان .

ثم لم يسألوه عن الواحد »[١] .

ذكر الموت

قال الله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ..** ﴾[٢] .

وقال عز وجل يخاطب نبيه ﷺ :

﴿ **إنك ميّت وإنهم ميتون** ﴾[٣] .

وفي الحديث الشريف : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات »[٤] أي: قاطعها وهو الموت .

ودخل رسول الله ﷺ مصلّاه ، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون ـ أي: يضكحون وتظهر أسنانهم من الضحك ـ

فقال : « أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات ـ يعني

---

(١) البخاري .

(٢) ١٨٥ ـ آل عمران .

(٣) ٣٠ ـ الزمر .

(٤) الترمذي وغيره .

الموت ـ لشغلكم عما أرى ، فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ، فإنه لم يأتِ على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول :

أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود .

فإن دُفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحباً وأهلاً أما إن كنتَ لأحبَّ من يمشي على ظهري إليَّ ، فإذا وَليتك اليوم ، وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك .

قال : فيتَّسع له مدَّ بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة .

وإذا دُفن العبد الفاجر قال له القبر :

لامرحباً ، ولاأهلاً ، أما إن كنت لأبغضَ من يمشي على ظهري إليَّ ، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إلي ، فسترى صنيعي بك .

قال : فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه .

قال رسول الله ﷺ بأصابعه ـ أي: أشار بها ـ فأدخل بعضها في جوف بعض .

قـال : ويُقّيض لـه الله سبعين تنّينـاً ـ أي: ثعبـانـاً ـ لو أن واحـداً نفـخ في الأرض ، مـا أنبتت شيئـاً مـا بقيت الـدنيـا فينهشه ، ويخدشه ، حتى يُفضي به إلى الحساب .

ثم قـال رسـول الله ﷺ : إنمـا القبر روضـة من ريـاض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » [١] .

وفي الحديث الشريف : « الكيّس ـ يعني العاقل ـ من دان نفسه وعمل لمـا بعـد الموت ، والعـاجز من أتبع نفسـه هواهـا ، وتمنّى على الله الأمانيَّ » [٢] .

وقال رجل من الأنصار : مَنْ أكيس النـاس وأكرم النـاس يارسول الله ؟

فقـال : « أكثرهم ذكراً للمـوت ، وأشـدهم استعـداداً لـه ، أولئـك هم الأكيـاس ، ذهبـوا بشرف الـدنيـا وكرامـة الآخرة » [٣] .

---

(١) الترمذي .

(٢) الترمذي وغيره .

(٣) ابن ماجه وابن أبي الدنيا .

أقسام الناس في ذكر الموت

الناس في الدنيا على ثلاثة أقسام :

١ ـ إما منهمك بالدنيا ، ولا تخطر له الآخرة على بال .

٢ ـ وإما تائب مبتدىء ، يجاهد نفسه على التقوى والعمل للآخرة .

٣ ـ وإما عارف كملت نفسه ، وتاقت إلى الآخرة .

فأما المنهمك بالدنيا ، فلا يذكر الموت بحال ، وإن ذكره فإنه يذكره آسفاً على الدنيا ، حزيناً على فراقها .

وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله تعالى إلا بُعداً .

وأما التائب المبتدىء ، فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية ، فيفي بتمام التوبة .

وربما يكره الموت خوفاً من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل إصلاح الزاد إلى الآخرة .

وهو معذور بكراهية الموت لهذا السبب .

وعلامته أن يكون دائم الاستعداد له ، لا يشغله عنه من الدنيا شاغل .

وأما العارف الكامل ، فإنه يذكر الموت دائماً ، لأنه موعد لقاء الله تبارك وتعالى ، وهو يحبه ، والمحب ينتظر لقاء الحبيب .

وهذا على الغالب يستبطىء مجيء الموت ، ويحب مجيئه ليتخلص من سجن الدنيا ، وينتقل إلى جوار ربه الكريم .

لما حضرت حذيفة رضي الله عنهُ الوفاة قال :

حبيب جاء على فاقة ، لاأفلح من ندم ...

ولما حضرت بلالاً رضي الله عنه الوفاة ، سمع امرأة من أهله تقول : وامصيبتاه .

فقال : بل واطرباه ، غداً ألقى الأحبة ، محمداً وصحبه .

ما الجدير بالعاقل ؟

ماأجدر الإنسان العاقل ، الذي يطوي حياته صحيفةً ، ويقتلع عمره بيده من التقويم السنوي ورقة ورقة ، ويرى بعينه مراحل العمر تمضي مرحلة مرحلة ، وينتقل من طفولة إلى شباب ، ثم إلى كهولة فشيخوخة وهِرم ، هرمٍ ليس بعده إلا الموت ...

أقول : ماأجدر هذا الإنسان إذا كان عاقلاً ، أن يفكر فيما بعد الموت ، ويستعد بالإيمان والعمل الصالح ، لحياة الخلود في النعيم ، ويعمل للنجاة من الخلود في عذاب الجحيم !!

مقارنة

لو قارّنا بين رجلين : أحدهما مؤمن بالله واليوم الآخر مستعدّ له ، والآخر جاحد بالله ، كافر باليوم الآخر ، لرأينا الفرق بينهما شاسعاً .

فالمؤمن بالله واليوم الآخر كلما ذكر الموت والآخرة ، تحرك قلبه بالرجاء ، آملاً أن يكون في الآخرة من السعداء ،

ومن أهل النعيم الخالد فيها .

فهو سعيد في نفسه ، مطمئنّ في حياته ، مهما قاسى من الشدائد والصعاب ، والآلام والأسقام ، ومهما لاقى في شيخوخته وهرمه ، من ضعف ووهن ، فهو يودّع هذه الحياة راضياً ، هانئ النفس ، فرحاً بلقاء الله ، منتظراً ثواب الله ...

فأيّ سعادة أعظم من هذه السعادة ؟!

وأما الملحد بالله ، الكافر باليوم الآخر ، فإنه يتقلب في شدائد الحياة وصعوباتها وآلامها وأسقامها ، كما يتقلب الحيوان الأعجم ، لايعرف سبباً لوجوده ، ولا يرجو ثواباً لعمله ، ويدركه ضعف الشيخوخة ، ووهن الهرم ، فلا يجد لذة في مأكل ولا مشرب ، ولا في متعة من متع الحياة ، ثم هو إذا عاين الموت ، فارق هذه الحياة كئيباً حزيناً ، لا يرى أنه صائر بعد موته إلا إلى جيفة كما يصير الحمار ...

فأي شقاء أشد من هذا الشقاء ؟!

ينتفع الميت بعمل غيره

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :

يارسول الله : إن أمي افتلتت نفسها ـ أي: ماتت فجأة ـ ولم توصِ ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، أفلها أجر إن تصدقتُ عنها ؟

قال : « نعم » [١] .

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال :

يارسول الله إن أم سعد ماتت ، فأيّ الصدقة أفضل ؟

قال : « الماء » .

قال : فحفر بئراً ، وقال : هذه لأم سعد [٢] ـ أي: صدقة عنها ـ .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) أبو داود وأحمد .

يارسول الله ، إن أمي ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟

فقال : « لو كان على أمك دين أكنت قاضيَه عنها ؟

قال : نعم .

قال : فدين الله أحق أن يُقضى » [١] .

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت :

يارسول الله ، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟

قال : « أرأيتِ لو كان على أمك دين فقضيتيه ، أكان يؤدي ذلك عنها ؟

قالت : نعم .

قال : فصومي عن أمك » [٢] .

وفي حديث آخر : « من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » [٣] .

(١ و ٢ و ٣) البخاري ومسلم .

أي: يندب لقريبه أن يصوم عنه .

فهـذا صريـح في أن الميت المسلم ينتفـع بعمـل غيره ، كما ينتفع بصلاة الجنـازة عليـه ، وذلـك بـإجمـاع العلمـاء من أهل السنة رضي الله عنهم .

وفي انتفاعه بقراءة القرآن له خلاف .

بل والحي ينتفع بعمل غيره :

قال الله تعالى : ﴿ **وكان أبوهما صالحاً** ﴾ [١] .

وقـال عـز وجـل : ﴿ **والملائكـة يسبحـون بحمـد ربهم ، ويستغفرون لمن في الأرض** ﴾ [٢] .

وقال رجل : يارسول الله ، إن أبي شيخ كبير ، ولا يثبت على الراحلة ، أفأحجّ عنه

قال : « نعم » [٣] .

---

(١) ٨٢ ـ الكهف .

(٢) ٥ ـ الشورى .

(٣) النسائي وغيره .

وفي الحديث الشريف : « الدال على الخير كفاعله »[١] .

ومن هذا القبيل الشفاعة في القيامة ، ونحو ذلك كثير .

ولا يرد قوله تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾[٢] .

فإنها في الكافر ، أو في الأمم الماضية ، أو هو عام مخصوص بغير ذلك .

نفهم مما تقدم أن الإنسان ينتفع بعمل غيره .

وللإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره ، صلاةً كانت أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن ، أو غير ذلك من جميع أنواع البر .

ويصل ذلك إلى الميت ، وينفعه عند أهل السنة ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أحمد وغيره .

(٢) ٣٩ ـ النجم .

النفخ في الصور

قال الله تعالى : ﴿ ونُفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في والأرض إلا من شاء الله ، ثم نُفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (١) .

وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال :

يارسول الله ما الصور ؟

قال : « قرن ينفخ فيه » (٢) .

وذكر رسول الله ﷺ يوماً الدجال ، ثم ذكر الساعة فقال :

« ثم يُنفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد ، إلا أصغى ليتاً ورفع ليتا . ـ أي:اضطرب ومات فاسترخى رأسه ، والليت : ـ صفحة العنق ـ

وأول من يسمعه رجل يلوط ـ أي: يطين ـ حوض إبله ،

(١) ٦٨ ـ الزمر .

(٢) الترمذي وأبو داود .

فيُصعق ويصعق الناس ، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل ، فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون .

ثم يقال : ياأيها الناس ، هلموا إلى ربكم ، وقفوهم إنهم مسئولون .

ثم يقال : أخرجوا بعث النار .

فيقال : مِنْ كم ؟

فيقال : من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين .

قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يُكشف عن ساق »[١] .

البعث والحشر

قال الله تعالى : ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعاً : فينبّئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد** ﴾[٢] .

---

(١) مسلم .

(٢) ٦ ـ المجادلة .

وقال عز وجل منددأ على الكافر الذي ينكر البعث بقوله :

﴿ من يحيي العظام وهي رميم ؟!

قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ ما خلْقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ، لايبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ (٣) .

وقال عز وجل : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث (٤) سِراعاً كأنهم إلى نُصُب يوفضون (٥) خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ،

---

(١) ٧٨ و ٧٩ ـ يس .

(٢) ٢٨ ـ لقمان .

(٣) ٣٨ ـ النحل .

(٤) أي: من القبور .

(٥) يسرعون إلى عَلَم .

ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ [١] .

وفي الحديث الشريف : « يُبعث كل عبد على ما مات عليه » [٢] .

وقام رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة ، فقال :

« ياأيها الناس ، إنكم تُحشرون إلى الله حُفاةً عراةً غُرْلاً ـ جمع أغرل ، وهو الأقلف ، والغُرلة : القلفة ـ

كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين .

ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخَذ بهم ذات الشمال .

أي: يؤمر بهم إلى النار .

---

(١) ٤٣ و ٤٤ ـ المعارج .

(٢) مسلم .

فأقول : يارب أصحابي !

فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك ؟

فأقول كما قال العبد الصالح ـ عيسى عليه السلام : ﴿ **وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفَّيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد .**

إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم ، فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [1] .

قال ، فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » [2] .

الحشر على أرض جديدة

قال الله تعالى : ﴿ **يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ [3] .

---

(١) ١١٧ ـ ١١٨ المائدة .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) ٤٨ ـ إبراهيم .

وفي الحديث الشريف : « يُحشر النـاس يومٍ القيـامـة على أرض بيضاء عفراء كقُرصة نقيٍّ .

قـال الرواي : ليس فيهـا مَعْلَم ـ أي:عـلامـة سكنى ـ لأحد » [١] .

كلام الله تعالى يوم القيامة

قال الله عز وجل : ﴿ يومَ هم بـارزون ، لايخفى على الله منهم شيء .

لمن الملك اليوم ؟

لله الواحد القهار .

اليوم تُجزى كل نفس بما كسبت ، لاظلم اليـوم ، إن الله سريع الحساب ﴾ [٢] .

وفي الحديث الشريف : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول :

---

(٢) البخاري ومسلم .

(٢) ١٦ و ١٧ ـ غافر .

أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟» [١]

من أهوال القيامة

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعتْ ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد ﴾ [٢] .

﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير مُحضراً ، وماعملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمَداً بعيداً ، ويحذّركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ﴾ [٣] .

﴿ يوم تبيضّ وجوه ، وتسودُ وجوه ، فأما الذين اسودَّت وجوههم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ١ و ٢ ـ الحج .

(٣) ٣٠ ـ آل عمران .

وأما الذين ابيضّت وجوههم ، ففي رحمة الله ، هم فيها خالدون ﴾ [١] .

﴿ يومَ يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا أجبتم ؟

قالوا : لاعلم لنا ، إنك أنت علام الغيوب ﴾ [٢] .

﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناس ، وذلك يوم مشهود . وما نؤخّره إلا لأجلٍ معدود .

يومَ يأتِ لاتَكلّمُ نفس إلا بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد ﴾ [٣] .

﴿ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين [٤] مقنعي رءوسهم [٥] لايرتدّ إليهم طرفهم ، وأفئدتهم هواء ﴾ [٦] .

---

(١) ١٠٦ و ١٠٧ ـ آل عمران .

(٢) ١٠٩ ـ المائدة .

(٣) ١٠٣ ـ ١٠٥ ـ هود .

(٤) أي : مسرعين .

(٥) أي : رافعي رءوسهم إلى فوق من الفزع .

﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتُوفَّى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون ﴾ [١] .

﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم [٢] فمن أوتي كتابه بيمينه ، فأولئك يقرءون كتابهم ، ولا يُظلمون فتيلاً .

ومن كان في هذه أعمى [٣] فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾ [٤] .

﴿ ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً .

وعُرضوا على ربك صفاً ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً .

ووُضع الكتاب ، فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون :

---

(١) ١١١ ـ النحل .

(٢) أي : بنبيهم أو بكتابهم الذي أنزل عليهم .

(٣) أي : أعمى القلب والبصيرة .

(٤) ٧١ و ٧٢ ـ الإسراء .

ياويلتنا مالهذا الكتاب ، لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟

ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾ [١] .

﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرقاً . يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً .

نحن أعلم بما يقولون ، إذ يقول أمثلهم طريقة : إن لبثتم إلا يوماً ﴾ [٢] .

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ [٣] .

﴿ اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ [٤] .

﴿ ويوم يَعَضُّ الظالم على يديه يقول : ياليتني اتخذت

---

(١) ٤٧ و ٤٩ ـ الكهف .

(٢) ١٠٢ ـ ١٠٤ ـ طه .

(٣) ٢٤ ـ النور .

(٤) ٦٥ ـ يس .

مع الرسول سبيلاً .

ياويلتا ، ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً .

لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ [١] .

﴿ يوم تُقلَّب وجوههم فى النار ، يقولون : ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا .

وقالوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .

ربنا آتِهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ [٢] .

﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ، وقيل للظالمين : ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ [٣] .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم

---

(١) ٢٧ ـ ٢٩ ـ الفرقان .

(٢) ٦٦ ـ ٦٨ الأحزاب .

(٣) ٢٤ ـ الزمر .

مسودّة ، أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين ﴾ [١] .

﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [٢] .

﴿ وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولّون مدبرين ، مالكم من الله من عاصم .. ﴾ [٣] .

﴿ يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار ﴾ [٤] .

﴿ ويوم يُحشَر أعداء الله إلى النار فهم يُوزَعون .

حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون .

وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟!

قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول

---

(١) ٦٠ ـ الزمر .

(٢) ١٨ ـ غافر .

(٣) ٣٢ و ٣٣ ـ غافر .

(٤) ٥٢ ـ غافر .

مرة وإليه تُرجعون .

وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون .

وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، فأصبحتم من الخاسرين ﴾ (١) .

﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ، إنا منتقمون ﴾ (٢) .

﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين .

يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً ،وهم لايُنصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم ﴾ (٣) .

﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون .

وترى كل أمة جاثية ، كلُّ أمة تدعى إلى كتابها ، اليوم تجزون بما كنتم تعملون ﴾ (٤) .

---

(١) ١٩ ـ ٢٣ فصلت .
(٢) ١٦ ـ الدخان .
(٣) ٤٠ ـ ٤٢ الدخان .
(٤) ٢٧ و ٢٨ ـ الجاثية .

﴿ وقيل : اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ، ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ [١] .

﴿ ويوم يُعْرَضُ الذين كفروا على النار : أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها ، فاليوم تُجزون عذاب الهُون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق ، وبما كنتم تفسقون ﴾ [٢] .

﴿ ويوم يُعرض الذين كفروا على النار : أليس هذا بالحق ؟

قالو : بلى وربنا .

قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ [٣] .

﴿ ونُفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد .

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد .

---

(١) ٣٤ ـ الجاثية .

(٢) ٢٠ ـ الأحقاف .

(٣) ٣٤ ـ الأحقاف .

لقد كنتَ في غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك ،
فبصرك اليوم حديد ﴾ [١] .

﴿ يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ، وتقول : هل من
مزيد ﴾ [٢] .

﴿ واستمعْ يوم ينادِ المنادِ من مكان قريب .

يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج ﴾ [٣] .

﴿ يوم تشقّق الأرض عنهم سراعا ، ذلك حشرٌ علينا
يسير ﴾ [٤] .

﴿ يوم تمور السماء مَوْراً [٥] وتسير الجبال سيراً . فويل
يومئذ للمكذبين ، الذين هم في خوض يلعبون .

يوم يُدَعّون [٦] إلى نار جهنم دعاً .

---

(١) ٢٠ ـ ٢٢ ق .
(٢) ٣٠ ـ ق .
(٣) ٤١ ـ ٤٢ ق .
(٤) ٤٤ ـ ق .
(٥) أي : تدور بما فيها .
(٦) أي : يُدفعون .

هذه النار التي كنتم بها تكذبون .

أفسحرٌ هذا ، أم أنتم لا تبصرون ؟

اصلوها فاصبروا ، أو لاتصبروا ، سواء عليكم ، إنما تُجزَون ما كنتم تعملون ﴾ [١] .

﴿ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ، ولا هم يُنصرون ﴾ [٢] .

﴿ يوم يَدعُ الداعِ إلى شىء نُكُر .

خُشّعاً أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر .

مُهطعين إلى الداع ، يقول الكافرون هذا يوم عَسِر ﴾ [٣] .

﴿ يوم يُسحَبون في النار على وجوههم : ذوقوا مسَّ سقر ﴾ [٤] .

---

(١) ٩ ـ ١٦ الطور .
(٢) ٤٦ ـ الطور .
(٣) ٦ ـ ٨ القمر .
(٤) ٤٨ ـ القمر .

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبسْ من نوركم .

قيل : ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً .

فضُرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبَله العذاب .

ينادونهم : ألم نكن معكم ؟

قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربصتم وارتبتم ، وغرتكم الأمانيُّ حتى جاء أمر الله ، وغرّكم بالله الغرور [١] فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ، ولا من الذين كفروا ، مأواكم النار ، هي مولاكم ، وبئس المصير ﴾ [٢] .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ، فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد .

ألم تَرَ أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض ، ما يكون

---

(١) يعني الشيطان .

(٢) ١٣ ـ ١٥ ـ الحديد .

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ [١] .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ، فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هو الكاذبون ﴾ [٢] .

﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ، ذلك يوم التغابن [٣] ﴾ [٤] .

﴿ يوم يُكشَف عن ساق ، ويُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون .

خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ [٥] .

﴿ فليس له اليوم هٰهنا حميم ، ولا طعام إلا من غِسْلين [٦]

---

(١) ٦ و ٧ ـ المجادلة .

(٢) ١٨ ـ المجادلة .

(٣) أي : يوم الخسار لمن اشترى الضلالة بالهدى ، وباع آخرته بدنياه .

(٤) ٩ ـ التغابن .

(٥) ٤٢ و ٤٣ القلم .

(٦) أي : صديد أهل النار .

لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ [١] .

﴿ يوم تكون السماء كالمُهْل [٢] وتكون الجبال كالعهن [٣] ولا يسأل حميم حميماً .

يُبَصَّرونهم [٤] يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومَن في الأرض جميعاً ، ثم ينجيه . كلا.. ﴾ [٥] .

﴿ يوم يَخرجون من الأجداث سِراعاً كأنهم إلى نُصُب يوفضون [٦] خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة [٧] .

ذلك اليومِ الذي كانوا يوعدون ﴾ [٨] .

---

(١) ٣٦ ـ ٣٨ الحاقة .

(٢) أي: عكر الزيت .

(٣) أي: الصوف المصبوغ .

(٤) أي: يرى بعضهم بعضاً .

(٥) ٨ ـ ١٥ المعارج .

(٦) أي: يُسرعون .

(٧) أي: يغشاهم هوان .

(٨) ٤٣ و ٤٤ المعارج .

﴿ يـوم تُرجف الأرض والجبـال ، وكانت الجبـال كثيبـاً مَهيلاً ﴾ [1] .

﴿ فـذلـــك يـومئـــذ يـوم عسير ، على الكافرين غير يسير ﴾ [2] .

﴿ وإذا الرسل أُقّتتْ ، لأي يوم أجّلت ؟

ليوم الفصل ، وما أدراك ما يوم الفصل ؟

ويل يومئذ للمكذبين ﴾ [3] .

﴿ هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذَن لهم فيعتذرون .

ويل يومئذ للمكذبين ﴾ [4] .

﴿ إن يوم الفصل كان ميقـاتـاً ، يوم يُنفَخ في الصـور ، فتأتـون أفـواجـاً ، وفتحت السماء فكانت أبوابـاً ، وسُيرت

---

(٥) ١٤ ـ المزمل .

(٦) ٩ و ١٠ ـ المدثر .

(٧) ١١ ـ ١٥ المرسلات .

(٤) ٣٥ ـ ٣٧ المرسلات .

الجبال فكانت سرابا ﴾ [١] .

﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً .
لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً .
ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً .
إنا أنذرناكم عذاباً قريباً .
يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ، ويقول الكافر : ياليتني كنت تراباً ﴾ [٢] .

﴿ يوم ترجُف الراجفة [٣] .
تتبعها الرادفة [٤] .
قلوبٌ يومئذ واجفة [٥] .
أبصارها خاشعة ﴾ [٦] .

---

(١) ١٧ ـ ٢٠ النبأ .
(٢) ٣٨ ـ ٤٠ النبأ .
(٣) أي: بعد النفخة الأولى في الصور .
(٤) يعني النفخة الثانية .
(٥) أي: خافقة خائفة من هول القيامة .
(٦) ٦ ـ ٩ النازعات .

﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبُرِّزت الجحيم لمن يرى .

فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ﴾ [١] .

﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأنٌ يغنيه .
وجوه يومئذ مُسفرة [٢] ضاحكة مستبشرة .
ووجوه يومئذ عليها غَبَرة [٣] ترهقها قترة [٤] .
أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ [٥] .

﴿ وما أدراك ما يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين ؟ .

---

(١) ٣٥ ـ ٣٩ ـ النازعات .

(٢) أي : مشرقة مضيئة .

(٣) أي : كآبة .

(٤) أي : تعلوها ظلمة .

(٥) ٣٤ ـ ٤٢ عبس .

يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله ﴾ [١] .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً . إن وعد الله حق ، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرّنكم بالله الغَرور ﴾ [٢] .

﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً . السماء منفطرٌ به ، كان وعده مفعولاً ﴾ [٣] .

﴿ يومئذ يتّبعون الداعيَ لاعوجَ له ، وخشَعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً .

يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، ورضي له قولاً ﴾ [٤] .

﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون أن الله هو

---

(١) ١٧ ـ ١٩ الانفطار .

(٢) ٣٣ ـ لقمان .

(٣) ١٧ و ١٨ المزمل .

(٤) ١٠٨ و ١٠٩ طه .

الحق المبين ﴾ [١] .

﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴾ [٢] .

﴿ فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتُهم ، ولا هم يُستَعتَبون ﴾ [٣] .

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ﴾ [٤] .

﴿ فإذا برِق البصر [٥] وخسَف القمر ، وجُمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ : أين المفر ؟
كلا ، لاوزر [٦] إلى ربك يومئذٍ المستقر . ينبّأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر ﴾ [٧] .

---

(١) ٢٥ ـ النور .
(٢) ٦٦ ـ القصص .
(٣) ٥٧ ـ الروم .
(٤) ٦٧ ـ الزخرف .
(٥) أي: زاغ من الفزع .
(٦) أي: لا ملجأ .
(٧) ٧ ـ ١٣ القيامة .

﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة .

ووجوه يومئذ باسرة [١] تظن أن يُفعل بها فاقرة ﴾ [٢] .

أي: تستيقن أنه سيحلّ بها أمر شديد ، يكسر فقار الظهر .

﴿ وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية ، تُسقى من عين آنية [٣] ليس لهم طعام إلا من ضريع [٤] لايسمن ولا يغني من جوع ﴾ [٥] .

﴿ وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان ، وأنى له الذكرى .

يقول : ياليتني قدّمت لحياتي !

فيومئذ لايعذّب عذابه أحد ، ولا يوثق وَثاقه

---

(١) أي: عابسة من الخوف .

(٢) ٢٢ ـ ٢٥ القيامة .

(٣) أي: شديدة الحرارة .

(٤) أي: من شوك .

(٣) ٢ ـ ٧ الغاشية .

أحد ﴾ [١] .

وفي الحديث الشريف : « يعرق الناس يوم القيامة ، حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويُلجمهم حتى يبلغ آذانهم » [٥] .

« تُدنى الشمس يوم القيامة من رءوس الخلق ، حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق .

فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه - أي: خاصرتيه - ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً ، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه . - أي: إلى فمه - » [٣] .

بشرى المؤمنين في القيامة

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ،

---

(١) ٢٣ - ٢٦ الفجر .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم .

وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون .

نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدّعون .

نُزُلاً من غفور رحيم ﴾ (١) .

تتنزل عليهم الملائكة عند الموت ، وفي القبر ، وإذا قاموا من قبورهم للبعث ، وفي الآخرة ..

وقال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

الذين آمنوا وكانوا يتقون .

لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ﴾ (٢) .

﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم : بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٣) .

﴿ يوم لايُخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم

---

(١) ٣٠ ـ ٣٢ فصلت .

(٢) ٦٢ ـ ٦٤ ـ يونس .

(٣) ١٢ ـ الحديد .

يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل شيء قدير ﴾ [(١)] .

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ [(٢)] .

محاسبة الله تعالى لعباده

قال الله تعالى : **﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾** [(٣)] .

وقال عز وجل : **﴿ إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم ﴾** [(٤)] .

وفي الحديث الشريف : « ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ،. فلا يرى إلا ما قدَّم ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما

---

(١) ٨ ـ التحريم .
(٢) ٨٩ ـ النمل .
(٣) ٧ ـ ٩ الانشقاق .
(٤) ٢٥ و ٢٦ الغاشية .

قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشِقّ تمرة » [١] .

وفي حديث آخر : « يدنو أحدكم من ربه ، حتى يضع كنفه ـ أي:ستره ـ عليه ، فيقول : أعملت كذا وكذا ؟

فيقول : نعم .

ويقول : أعملت كذا وكذا ؟

فيقول : نعم .

فيقرره ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى صحيفة حسناته .

أما الكفار ، فينادى على رءوس الأشهاد :

﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال :

« ليس أحد يحاسَب يوم القيامة إلا هلك .

(١ و ٢) البخاري ومسلم .

فقلت : يارسول الله : أليس قد قال الله تعالى :

﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حساباً يسيراً** ﴾

فقال : إنما ذلك العَرْض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذّب » [١] .

وقال ناس : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

قال : « هل تُضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ »

قالوا : لا .

قال : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟ »

قالوا : لا .

قال : « فوالذي نفسي بيده ، لاتضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما .

قال : « فيلقى العبدَ فيقول :

---

(١) البخاري ومسلم .

أي: فُلَ ـ يعني يافلان ـ ألم أكرمك وأسوّدك ـ أي أجعلك سيداً ـ وأزوِّجك ، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترْبع ـ أي: تعلو على العباد ـ ؟

فيقول : بلى .

قال : فيقول : أفظننتَ ـ أي: اعتقدت ـ أنك ملاقيَّ ؟

فيقول : لا .

فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ـ أي: ويأمر به إلى النار ـ .

ثم يلقى الثاني فيقول : أيْ فُلَ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟

فيقول : بلى أيْ ربِ .

فيقول : أفظننت أنك ملاقيّ ؟

فيقول : لا .

فيقول : فإني أنساك كما نسيتني .

ـ وهذا والذي قبله من الكافرين ـ

ثم يلقى الثالث ، فيقول له : مثل ذلك .

فيقول : يارب آمنت بك وبكتابك ، وبرسلك ، وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع .

فيقول : هاهنا إذن .

ـأي: قف حتى تسمع من يكذبك ـ

قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك .

ويتفكر في نفسه : من ذا الذي يشهد عليّ ؟!

فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي .

فتنطِق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه .

ـأي: ليزيل عذره من قبل نفسه ـ

وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه »[١] .

---

(١) مسلم .

وفي الحديث الشريف : « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل :

عن عمره فيمَ أفناه ؟

وعن عمله فيم فعل ؟

وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟

وعن جسمه فيم أبلاه ؟ » [١] .

القصاص

القصاص هو أن يأخذ الله تعالى للمظلوم حقه من ظالمه .

وليس في الآخرة إلا الحسنات ، فتؤخذ الحقوق منها .

وفي الحديث الشريف : « من كان عنده مظلمة لأخيه ، فليتحلله منها ، فإنه ليس ثمَّ دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات ، أُخذ من سيئات أخيه فطُرحت عليه » [٢] .

وفي حديث آخر : « يخلص المؤمنون من النار ، فيُسحبون

---

(١) الترمذي .

(٢) البخاري ومسلم وغيرهما .

على قنطرة بين الجنة والنار ، فيُقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذبوا ونُقّوا ، أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده ، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة ، منه بمنزله كان في الدنيا . [1] .

استلام صحف الأعمال

إذا انتهى الناس في الموقف من السؤال ، طارت الصحف من تحت العرش ، فجاءت كل صحيفة لصاحبها ، فالسعيد يأخذها بيمينه ، والشقي بشماله ، ومن وراء ظهره .

قال الله تعالى : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فيقول : هاؤم [2] اقرءوا كتابيه ، إني ظننت [3] أني ملاقٍ حسابيه .**

فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

وأما من أوتي كتابه بشماله ، فيقول :

---

(١) البخاري .

(٢) أي: خذوا .

(٣) أي: أيقنت .

ياليتني لم أوتَ كتابيه ، ولم أدرِ ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية [(١)] **ما أغنى عني ماليه ؟ هلك عني سلطانيه .**

خذوه فغُلوه ، ثم الجحيم صَلّوه ، ثم في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لايؤمن بالله العظيم ﴾ [(٢)] .

وفي الحديث الشريف : « يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات :

فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي ، فآخذٌ بيمينه ، وآخذ بشماله » [(٣)] .

وعرضُ الناس على الله تعالى وقوفهم بين يديه .

قال الله تعالى : **﴿ يومئذ تُعرضون لاتخفى منكم خافية ﴾** [(٤)] .

وهذا الموقف له أحوال نظراً لما يجري فيه .

---

(١) أي: ياليت الموتة في الدنيا كانت القاطعة لحياتي ، فلا أبعث فأرى هذا .
(٢) ١٩ ـ ٣٣ الحاقة .
(٣) الترمذي .
(٤) ١٨ ـ الحاقة .

فالحال الأولى وقوف الخلائق وهم سكوت .

قال الله تعالى : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن ، فلا تسمع إلا همساً** ﴾ [١] .

وهذه هي أشق الأحوال عليهم ، حتى يتمنوا الانصراف ولو إلى النار ، فإذا التجئوا إلى الرسل ، وشفع النبي ﷺ لهم عند الله تعالى ، قَبِل الله شفاعته ، وشرع في محاسبة الخلائق .

وهذه حال ثانية . وهكذا من حال إلى حال ، حتى ينتهوا إلى الجنة أو النار .

الميزان

قال الله تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تُظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقالَ حبة من خردل ، أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين** ﴾ [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت .

---

(٣) ١٠٨ ـ طه .
(٢) ٤٧ ـ الأنبياء .

فقال لها رسول الله ﷺ : « ما يبكيك ؟ »

فقالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة يارسول الله ؟

فقال : « أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً : عند الميزان ، حتى يعلم أيخفّ ميزانه أو يثقل ؟ وعند الكتاب ـ أي: أخذ الصحف ـ حين يقال : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ .

حتى يعلم أين يقع كتابه ، أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره ؟

وعند الصراط إذا وُضع بين ظَهْرَيْ جهنم » [١] .

وعن أنس رضي الله عنه قال :

سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة .

فقال : « أنا فاعل »

فقلت : يارسول الله : فأين أطلبك ؟

---

(١) رواه أبو داود .

قال : « اطلبني أول ما تطلبني على الصراط » .

قلت : فإن لم ألقَك على الصراط ؟

قال : « فاطلبني عند الميزان »

قلت : فإن لم ألقَك عند الميزان ؟

قال : « فاطلبني عند الحوض ، فإني لا أخطىء هذه الثلاث » [١] .

الصراط جسر على جهنم

وجاء في حديث طويل : « ثم يُضرب الصراط بين ظَهْرَانَيْ جهنم ، فأكون أول من يجوز ـ أي: يجتاز ـ من الرسل بأمته ، ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلّمْ سلّم » [٢] .

وفي حديث الشفاعة :

---

(١) الترمذي .
(٢) البخاري ومسلم .

« ونبيكم قائم على الصراط يقول : ربّ سلّمْ سلّمْ .

وفي حافتي الصراط كلاليب معلّقة مأمورة بأخذ من أمرتْ به ، فمخدوش ناجٍ ، ومكدوسٌ في النار »[١] .

وفي أحاديث الشفاعة :

« فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، والريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ـ أي: الإبل ـ فناجٍ مسلّم ، ومخدوش ، ومكدوس في نار جهنم »[٢] .

الحوض المورود

خرج رسول الله ﷺ يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر فقال :

« إني فَرَطٌ ـ أي: سابق ـ لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن

---

(١) مسلم .

(٢) البخاري ومسلم .

أخاف عليكم أن تنافسوا فيها »[١] .

وفي حديث آخر : « أنا فرطكم على الحوض ، من مرّ عليَّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليَردَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يُحال بيني وبينهم ، فأقول : إنهم مني » .

فيقال : لاتدري ما أحدثوا بعدك ؟

فأقول : « سُحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي ـ أي: ارتدّ عن دينه »[٢] .

صفة الحوض وشرابه

في الحديث الشريف : « الحوض كما بين المدينة وصنعاء »[٣] .

« حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه فلا

(١ و٢) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم .

يظمأ أبداً » [١] .

وفي رواية : « ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل » [٢] .

الكوثر

في الحديث الشريف : « بينا أنا أسير في الجنة - أي: ليلة المعراج - إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوّف

قلت : « ما هذا ياجبريل ؟ »

قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طينه مسك أذفر » [٣] .

- أي: شديد الرائحة الطيبة -

وفي حديث آخر : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، وتربته أطيب من

---

(١) البخاري .

(٢) مسلم .

(٣) البخاري .

المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج »[١] .

ولا منافاة بين هذا وما قبله ، فإن الحافة من الذهب ، لاتمنع قباب الدر فوقها .

الشفاعة

قال الله تعالى : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾[٢] .

وقال عز وجل على لسان بعض الكافرين في القيامة : ﴿ **فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم** ﴾[٣] .

وقال سبحانه في الملائكة : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون** ﴾[٤] ـ أي: خائفون.

---

(١) الترمذي .

(٢) ٢٥٥ ـ البقرة .

(٣) ١٠٠ و ١٠١ ـ الشعراء .

(٤) ٢٨ ـ الأنبياء .

شفاعة نبينا محمد ﷺ

في الحديث الشريف : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بما ذاك ؟

يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيُسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر - أي: يراهم الناظر - وتدنو الشمس ، فيبلغ الناسَ من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يتحملون .

فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم .

فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، أتشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟

فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي - أي: فلا أسأله إلا نجاة نفسي - ، اذهبوا

إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح ، أنت أول الرسل في الأرض ، سماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة ، دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟

فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كذبت ثلاث كذبات ، فذكرها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ، فيقولون : ياموسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى

إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلـه مثله ، ولن يغضب بعده مثلـه ، وإني قـد قتلت نفسـاً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : ياعيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـه ، وكلمت النـاس في المهـد صبيـاً ، فاشفع لنا عند ربك ألا ترى إلى مـا نحن فيـه ؟! ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلـه مثلـه ، ولن يغضب بعـده مثلـه ولم يـذكر ذنبـاً نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد .

فيـأتـونني فيقـولـون : يـامحمـد ! أنت رسـول الله وخـاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ .

فأقول : أنا لها . فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجـداً

لربي ، ثم يفتح الله عليّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي .

ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك ، سل تُعطَهْ ، واشفع تشفّع .

فأرفع رأسي فأقول ، أمتي يارب ، أمتي يارب !

فيقال : يامحمد ، أدخِل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب .

والذي نفسي بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، لَكما بين مكة وهَجَر ـ بلد باليمن ـ أو كما بين مكة وبُصرى ـ بلد بالشام ـ» [(١)] .

يشفع النبيون والمؤمنون بإذن الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا** ﴾ [(٢)] .

---

(١) مسلم .

(٢) ١٠٩ ـ طـه .

وفي الحديث الشريف : إن من أمتي من يشفع للفِئام ـ أي الجماعة الكثيرة ـ ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعُصبة ، ومنهم من يشفع للرجل ، حتى يدخلوا الجنة »[١] .

« يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء »[٢] .

فالشفاعة ثابتةٌ وواقعة ، لأنها جائزة عقلاً وواجبة شرعاً بالكتاب والسنة كما سبق ، وبإجماع أهل السنة سلفاً وخلفاً ، خلافاً للخوارج وبعض المعتزلة ، لتعلقهم بمذهبهم في تخليد المذنبين في النار ، تمسكاً بقوله تعالى :

﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٣] .

وقوله عز وجل : **﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾**[٤] .

---

(١) الترمذي .
(٢) ابن ماجه .
(٣) ٤٨ ـ المدثر .
(٤) ١٨ ـ غافر .

وهم مخطئون في هذا ، لأن هاتين الآيتين في الكافرين .

أقسام الشفاعة

والشفاعة خمسة أقسام ، وهي :

الأولى : الشفاعة العظمى ، وهي لجميع الخلائق ، بإراحتهم من هول الموقف وتعجيل الحساب .

والثانية : في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

والثالثة : في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها .

والرابعة : في قوم استوجبوا النار بذنوبهم ، فلا يدخلونها .

والخامسة : في إخراج بعض المذنبين من النار .

والأولى والثانية خاصتان بنبينا محمد ﷺ .

فالحمد لله الذي جعلنا من أمة هذا النبي الكريم .

وحكمة الشفاعة تكريم الشافعين ، ورفع شأنهم على رؤوس الأشهاد ، وإفاضة الكرم الإلهي على المشفوع لهم .

سعة الكرم الإلهي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنا أناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله ﷺ : « هل تُضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ »

قالوا : لايارسول الله .

قال : « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا : لا يارسول الله .

قال : فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول :

من كان يعبد شيئاً فليتْبعه .
فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس .
ويتبع من كان يعبد القمر القمر .
ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت .

وهي كل ماعُبد من دون الله .

وتبقى هذه الأمة فيها منافقون ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه .

فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : أنت ربنا .

فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظَهْرَيْ جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ـ أي يجتاز ـ ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلّمْ سلّمْ .

وفي جهنم كلاليب ، مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟

قالوا : نعم ، يارسول الله .

قال : فإنها مثل شوك السعدان . غير أنه لايعلم قدر

عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبَق - أي المُهلك - بعمله ، ومنهم المجازى - أي من يجازى بصعوبة المرور - حتى ينجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من لايشرك بالله شيئاً ، ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله .

فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود . حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود .

فيخرجون من النار وقد امتُحِشوا - أي احترقوا وصاروا كالفحم - فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة .

فيقول : أي رب ، اصرف وجهي عن النار ، فإنه قد قشبني ريحها ، وأحرقني ذكاؤها - أي لهبها - فيدعو الله ما شاء أن يدعوه .

ثم يقول الله تبارك وتعالى ، هل عسيتَ إن فعلتُ ذلك بك ، أن تسأل غيره ؟

فيقول : لاأسألك غيره .

ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله .

فيصرف وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها ، سكت ما شاء الله أن يسكت .

ثم يقول : أي رب قدّمني إلى باب الجنة .

فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ، لاتسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك !

فيقول : أي رب .. يدعو الله حتى يقول له :

فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟

فيقول : لا وعزتك .

فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة ، انفهقت له الجنة - أي

انفتحت واتسعت ، فظهر حسنها وجمالها ـ فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت .

ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة .

فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لاتسأل غير ماأُعطيت ؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك !

فيقول : أي رب ، لا أكون أشقى خلقك .

فلا يزال يدعو الله حتى يضحك [١] الله تبارك وتعالى منه .

فإذا ضحك الله تعالى منه قال : ادخل الجنة .

فإذا دخلها قال الله له : تَمَنَّهْ .

فيسأل ربه ويتمنى ، حتى إن الله ليذكّره من كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت منه الأماني ، قال الله تعالى : ذلك لك

---

(١) سبق الكلام على آيات الصفات وأحاديث الصفات في قسم الإلهيات من سلسلتنا هذه « سلسلة العقائد » فارجع إليه إن شئت .

ومثله معه .

وفي رواية : ذلك لك وعشرة أمثاله »[١] .

وفي حديث آخر : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة .

ثم يخرج من النار من قال : « لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة »[٢] .

من صفة الجنة وخدمها

قال الله تعالى : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلَّدون ، بأكواب وأباريق وكأسٍ من معين[٣] لايُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون[٤] وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاءً بما كانوا يعملون ﴾[٥] .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) مسلم وغيره .

(٣) أي خمر من عين تجري .

(٤) أي لايحصل لهم من شربها صداع ولا غيبوبة .

(٥) ١٧ ـ ٢٤ الواقعة .

وقال عز وجل : ﴿ ويطوف عليهم وِلدان مخلَّدون ، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً . وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيرا .

عاليهم ثياب سندسٍ خضرٌ وإستبرق ، وحُلّوا أساور من فضة ، وسقاهم ربهم شراباً طهورا .

إن هذا كان لكم جزاء ، وكان سعيكم مشكورا ﴾ [(١)] .

وفي الحديث القدسي ، قال الله عز وجل :

« أعددت لعبادي الصالحين ، مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. » .

ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين ، جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [(٢)] .

وفي الحديث الشريف : « موضع سوطٍ في الجنة خير من

---

(١) ١٩ ـ ٢٢ الإسان .

(٢) البخاري ومسلم .

الدنيا وما فيها »[١] .

بناء الجنة وحصباؤها وترابها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

قلت : يارسول الله ممّ خُلق الخلق ؟

قال : « من الماء » .

قلنا : الجنة ما بناؤها ؟

قال : « لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ـ أي الشديد الرائحة ـ وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من دخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم ، ـ أي فلا يهرمون ـ »[٢] .

(١) البخاري .

(٢) الترمذي .

طبقات الجنة وأبوابها ودرجاتها

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ، تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ﴾ [١] .

وقال عز وجل : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً . خالدين فيها ، لايبغون عنها حِوَلاً ﴾ [٣] .

وفي الحديث الشريف : « في الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمى : الرّيان ، لايدخله إلا الصائمون » [٤] .

وفي حديث آخر : « باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة ،

---

(١) ٩ ـ يونس .
(٢) ٢٥ ـ يونس .
(٣) ١٠٧ ، ١٠٨ ـ الكهف .
(٤) البخاري ومسلم .

عرضه مسيرة الراكب المجَوِّد ثلاثاً ، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول »[١] .

وفي حديث آخر : « في الجنة مئة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس »[٢] .

أنهار الجنة وعيونها

قال الله تعالى: ﴿ **مَثَل الجنة التي وُعد المتقون ، تجري من تحتها الأنهار ، أُكلُها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار** ﴾[٣] .

وقال سبحانه : ﴿ **مَثَل الجنة التي وُعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن**[٤] **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،**

---

(١) الترمذي .

(٢) البخارى والترمذي .

(٣) ٣٥ ـ الرعد .

(٤) أي غير متغير .

وأنهــار من خمر لــذةٍ للشــاربين ، وأنهــار من عســل مصفّى ﴾ [١] .

وسئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال :

« ذاك نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العســل ، فيــه طير أعنــاقهــا كأعنــاق الجُزُر » [٢] ـ أي الجمال ـ .

أشجار الجنة وفواكهها

قال الله تعالى : ﴿ وبشر الـذين آمنوا وعملوا الصـالحات أن لهم جناتٍ تجري منْ تحتها الأنهـار ، كلمـا رُزقوا منهـا من ثمرة رزقـاً قـالـوا : هـذا الـذي رُزِقنـا من قبـل وأُتـوا بـه متشــابهــاً ، ولهم فيهــا أزواج مطهّرة ، وهم فيهــا خالدون ﴾ [٣] .

فثمار الجنـة يشبـه بعضهـا بعضـاً في المنظر ، ويختلف في

(١) ١٥ ـ محمد .

(٢) الترمذي .

(٣) ٢٥ ـ البقرة .

الطعم . وثمار الدنيا وفواكهها اللذيذة لا يشبه بعضها بعضاً في طعم ولا لون ، ولا يعرف أحد طعمها إلا إذا ذاقها فكيف بفواكه الآخرة وثمارها ؟!

وقال تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
ذواتا أفنان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
فيهما عينان تجريان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
فيهما من كل فاكهة زوجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ، وجنى الجنتين دان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾[١] .

وقال عز وجل : ﴿ وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين ؟ في سِدْر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾[٢] .

وفي الحديث الشريف : « إن في الجنة لشجرة ، يسير

(١) ٤٦ ـ ٥٥ الرحمن .
(٢) ٢٧ ـ ٣٣ الواقعة .

الراكب في ظلها مئة عام لايقطعها »[١] .

غرف أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ لكنِ الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية ، تجري من تحتها الأنهار ، وعْد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾[٢] .

وفي الحديث الشريف : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضُل مابينهم .

قالوا : يارسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لايبلغها غيرهم ؟

قال : « بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين »[٣] .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ٢٠ ـ الزمر .

(٣) البخاري ومسلم .

خيام الجنة

قال الله تعالى : ﴿ **حور مقصورات في الخيام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ [١] .

وفي الحديث الشريف : « في الجنة خيمة مجوَّفة ، عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن » [٢] .

أسواق الجنة

في الحديث الشريف : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهبّ ريح الشمال ، فتحثو في وجوههم وثيابهم - أي تنثر عليهم أنواع العطر - فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً . فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » [٣] .

---

(١) ٧٢ - ٧٣ الرحمن .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم .

الزرع في الجنة لمن شاء

كان النبي ﷺ يوماً يتحدث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ : « أن رجلاً من أهل الجنة يستأذن ربه في الزرع .

فقال الله له : أولست فيما شئت ؟ ـ أي متمتعاً بما تشتهي ـ

قال : بلى ، ولكن أحب أن أزرع .

فأسرع وبذر ، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال .

فيقول الله تعالى : دونك يابن آدم ، فإنه لايشبعك شيء .

فقال الأعرابي : يارسول الله ، لاتجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع .

فضحك النبي ﷺ » [١] .

---

(١) البخاري .

من أوصاف أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ، إخواناً على سُرُر متقابلين ، لايمسَّهم فيها نَصَب [١] وماهم منها بمخرجين ﴾ [٢] .

﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم مايدّعون [٣] سلام قولاً من رب رحيم ﴾ [٤] .

وفي الحديث الشريف : « أهل الجنة جُرْد مردٌ كُحل ، لايفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم » [٥] .

« إن أول زمرة يدخلون الجنة ، على صورة القمر ليلة

---

(١) أي التعب .

(٢) ٤٥ ـ ٤٨ الحجر .

(٣) أي ما يطلبون .

(٤) ٥٥ ـ ٥٨ يس .

(٥) الترمذي .

البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لايبولون ، ولايتغوطون ، ولايمتخطون ، ولايتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوَّة - أي مباخرهم شبه العود الهندي - وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم خلق رجل واحد - أي لا اختلاف بينهم - يسبحون بكرة وعشياً » [١] .

من صفات نساء أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** [٢] **لم يطمثهنّ** [٣] **إنس قبلهم ولا جان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟**

كأنهن الياقوت والمرجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ﴾ [٤] .

﴿ **فيهن خيرات حسان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟**

حور مقصورات في الخيام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) أي لاينظرن إلى غير أزواجهن .

(٣) أي لم يطأهنّ .

(٤) ٥٦ - ٥٩ الرحمن .

متكئين على رفرفٍ خُضْر ، وعَبْقريّ [١] حِسان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ﴾ [٢] .

لم يَطْمِثْهُنّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌ ، فبأي آلاء ربكما تكذبان .

وقال عز وجل : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكاراً ، عُرُباً أتراباً، لأصحاب اليمين ﴾ [٣] .

عُرُباً : جمع عَروب : وهي المتحببة إلى زوجها .

وأتراباً : أي متقاربات في السن .

وفي الحديث الشريف : « لَقابُ قوسِ أحدكم أو موضع قدمه من الجنة ، خير من الدنيا وما فيها . ولو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض ، لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحا ، ولَنصيفها ـ يعني الخمار ـ خير من الدنيا وما فيها » [٤] .

---

(١) أي طنافس .

(٢) ٧٠ ـ ٧٧ الرحمن .

(٣) ٣٥ ـ ٣٨ الواقعة .

(٤) البخاري ومسلم .

أول من يدخل الجنة

عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

« أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » [١] .

« آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟

فأقول : محمد .

فيقول : بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك » [٢] .

وفي الحديث الشريف : « ليدخلنّ الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، أو سبعمئة ألف متماسكون ، آخذٌ بعضهم بعضاً ، لايدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » [٣] .

(١ و ٢) مسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

في الحديث الشريف : « عُرضت عليّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر ومعه النفر ـ أي الجماعة من ثلاثة إلى عشرة ـ والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير .

قلت : ياجبريل ، هؤلاء أمتي ؟

قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق . فنظرت فإذا سواد كثير .

قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم ، لاحساب عليهم ولاعذاب .

قلت : ولِمَ ؟

قال : كانوا لايكتوون ، ولايسترْقون ، ولايتطيَّرون ـ أي لايتشاءمون ـ وعلى ربهم يتوكلون .

فقام إليه عُكاشة بن محصن ، فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم .

فقال : اللهم اجعله منهم .

ثم قام إليه رجل آخر ، فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم .

قال : سبقك بها عكاشة »[١] .

الأمة المحمدية أكثر أهل الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحواً من أربعين رجلاً .

فقال : « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟

قلنا : نعم .

فقال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟

فقلنا : نعم .

فقال : والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، ذلك أن الجنة لايدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك ، إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود : أو

---

(١) البخاري .

كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر »[١] .

وفي الحديث الشريف : « أهل الجنة عشرون ومئة صف : ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم »[٢] .

أول طعام أهل الجنة

عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال :

« كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاء حبْر من أحبار اليهود ـ أي عالم من علمائهم ـ فقال : السلام عليك يامحمد .

فدفعته دفعة كاد يُصرع منها .

فقال : لَمَ تدفعني ؟!

فقلت : ألا تقول يارسول الله ؟

فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) الترمذي .

فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي » .

فقال اليهودي : جئت أسألك ؟

قال : أسمع بأذنيّ .

فنكت رسول الله ﷺ بعود معه ـ أي في الأرض ـ فقال : سل .

فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازة ـ أي مروراً ـ ؟

قال : « فقراء المهاجرين » .

قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : « زيادة كبد النون ـ أي طرف كبد الحوت ـ »

قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟

قال : « ينحر لهم ثور الجنة ، الذي كان يأكل من أطرافها »

قال : فما شرابهم عليه ؟

قال : « من عين فيها تسمى : سلسبيلاً »

قال : صدقت » [١] .

الخلود في الآخرة

قال الله تعالى : ﴿ وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض ، إلا ماشاء ربك ، عطاءً غير مجذوذ ﴾ [٢] ـ أي غير مقطوع ـ .

وقال عز وجل : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية .
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية .
جزاؤهم عند ربهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار

---

(١) مسلم .

(٢) ١٠٨ ـ هود .

خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ،ذلك لمن خشي ربه ﴾[١] .

وفي الحديث الشريف : « إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، أُتِيَ بالموت : فيوقف على السور ، الذي بين الجنة والنار .

ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين .

ثم يقال : يا أهل النار ، فيطّلعون مستبشرين يرجون الشفاعة .

فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟

فيقولون : قد عرفناه ، وهو الموت الذي وُكِلَ بنا .

فيُضجع فيُذبح على السور بين الجنة والنار .

ثم يقال : يا أهل الجنة خلودٌ لاموت ، ويا أهل النار خلود لاموت .

---

(١) آخر سورة البينة .

ثم قرأ : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ، وهم لايؤمنون** ﴾ [(١)] وأشار بيده إلى الدنيا .

وفي حديث آخر : « من يدخل الجنة ينعم لايبأس ، ولاتبلى ثيابه ، ولايفنى شبابه » [(٢)] .

النظر إلى وجه الله الكريم

قال الله تعالى : ﴿ **وجوهٌ يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة** ﴾ [(٣)] .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال :

كنا جلوساً عند النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر ، فقال :

« إنكم ستُعرضون على ربكم ، فترونه كما ترون هذا القمر ، لاتضامون في رؤيته » [(٤)] .

---

(١) مسلم والترمذي .

(٢) مسلم .

(٣) ٢٢ ـ ٢٣ القيامة .

(٤) البخاري ومسلم .

وفي الحديث الشريف : « أن النبي ﷺ تلا هـذه الآيـة : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

ثم قـال : « إذا دخل أهل الجنـة الجنـة ، يقول الله تبـارك وتعالى : تريدونَ شيئاً أزيدكم ؟

فيقولون : ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتُنجِنـا من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب ، فما أُوعطوا شيئـاً أحب إليهم من النظر إلى وجه ربهم عز وجل » [١] .

إحلال الرضوان على أهل الجنان

قال الله تعـالى : ﴿ **وعـد الله المؤمنين والمؤمنـات جنـاتٍ تجري من تحتهـا الأنهـار خـالـدين فيهـا ، ومسـاكن طيبـة في جنــات عــدن ، ورضــوانٌ من الله أكبر ، ذلــك هــو الفــوز العظيم** ﴾ [٢] .

---

(١) مسلم .
(٢) ٧٢ ـ التوبة .

وفي الحـديث الشريف : « إن الله تعـالى يقـول لأهـل الجنة : يا أهل الجنة !

فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك .

فيقول : هل رضيتم ؟

فيقولون : وما لنا لانرضى يارب ، وقد أعطيتنا مالم تعطِ أحداً من خلقك ؟

فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟

فيقولون : يارب وأي شيء أفضل من ذلك ؟!

فيقـول : أُحِلّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعـده أبداً » (١) .

النار وأبوابها وأوصافها

قال الله تعالى : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين .

---

(١) البخاري ومسلم .

لها سبعة أبواب ، لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ [١] .

وقال عز وجل : ﴿ **وما أدراك ما سقر ، لاتبقي ولاتذر ، لواحةٌ للبشر ، عليها تسعة عشر ﴾** [٢] .

وفي الحديث الشريف : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم .

قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله .

قال : « فإنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلها مثل حرها » .

وفي حديث آخر : اشتكت النار إلى ربها فقالت :

رب أكل بعضي بعضاً .

فأذن لها بنفَسين ، نفَس في الشتاء ، ونفَس في الصيف ، فهو أشد ماتجدون من الحر ، وأشد ماتجدون من الزمهرير » [٣] .

---

(١) ٤٣ ، ٤٤ ـ الحجر .
(٢) ٢٧ ـ ٣٠ المدثر .
(٣) البخاري ومسلم .

« تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسانٌ ينطق ، يقول :

إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصوّرين » [١] .

من صفات أهل النار

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً ، كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ، ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزاً حكيماً** ﴾ [٢] .

وفي الحديث الشريف : « مابين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » [٣] .

---

(١) الترمذي : وفي هذا تحذير شديد من تصوير ذوات الأرواح . وقد جاء في تحريم الصور والتصوير أكثر من عشرين حديثاً صحيحاً . ودرج الفقهاء رضي الله عنهم على تحريم ذلك ، فلا ينبغي للمؤمن أن يلتفت إلى قول من قال بجوازه من المتأخرين .

أما الصور لأجل الهويات الشخصية ، و لأجل الجوازات السفرية ، ونحو ذلك ، فضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها .

(٢) ٥٦ ـ النساء .

(٣) البخاري ومسلم .

« ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث » [١] .

وقال رسول الله ﷺ في قوله تعالى :

﴿ **تلفح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون** ﴾ [٢] .

قال : « تشويه النار ، فتقلص شفته العليا ، حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته » [٣] .

شراب أهل النار وطعامهم

في الحديث الشريف : إن الحميم يُصَبّ على رؤوسهم ، فينفذ حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت مافي جوفه ، حتى يمرق من قدميه ، وهو الصَّهر ، ثم يعاد كما كان » [٤] .

وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **اتقوا الله حق**

(١) مسلم .

(٢) ١٠٤ ـ المؤمنون .

(٣ ـ ٤) الترمذي .

تقاته ، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ [١] .

ثم قال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟!» [٢] .

أهون أهل النار عذاباً

في الحديث الشريف : « إن أهون أهل النار عذاباً ، يوم القيامة لرجلٌ توضع في أخمص قدميه جمرتان ، يغلي منهما دماغه » [٣] .

كلمة التوحيد تقي من النار

في الحديث الشريف : « من كان آخر كلامه (لا إلّه إلا الله) دخل الجنة » [٤] .

---

(١) ١٠٢ ـ آل عمران .

(٢) الترمذي .

(٣) البخاري ومسلم .

(٤) أحمد وأبو داود .

دعاء :

اللهم اختم بالخيرات آجالنا ، وحقّق بفضلك آمالنا ، وسهّل لبلوغ رضاك سبلنا ، وحسّن في جميع الأحوال أعمالنا ، يـارب العالمين .

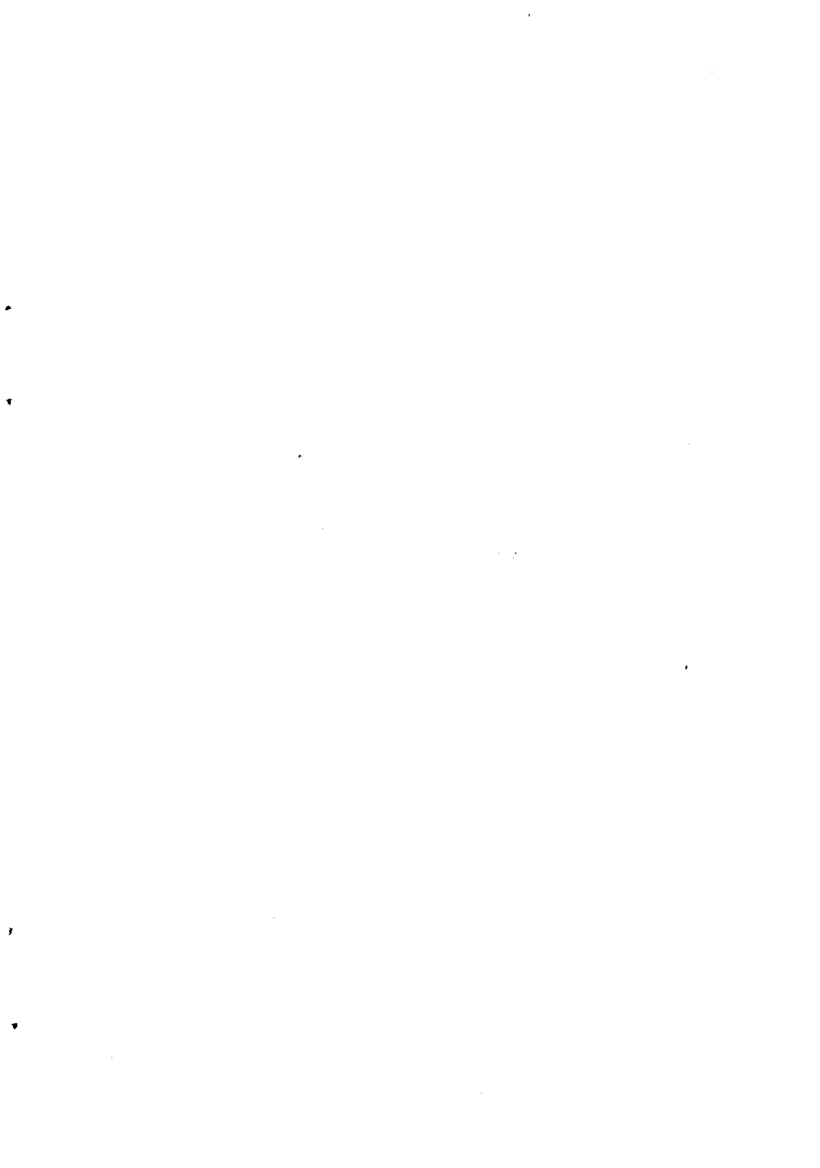
اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل .

ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

القضاء والقدر



القضاء والقدر

ما هو القضاء ؟

القضاء : الحكم والخلق والبيان ...

وكل معانيه ترجع إلى انقطاع الشىء وتمامه والفراغ منه .

قال الله تعالى : ﴿ **بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً** [(١)] **فإنما يقوله له : كن فيكون** ﴾ [(٢)] .

وقال عز وجل : ﴿ **فقضاهنّ سبع سموات** ﴾ [(٣)] أي خلقهن .

فإيجاد الكائنات ، وتسييرها من حيث ماقدّر لها : قضاء .

وشروق الشمس وغروبها على هذا النظام المقدّر لها : قضاء .

---

(١) أي قدره وأراد خلقه .

(٢) ١١٧ ـ البقرة .

(٣) ١٢ ـ فصلت .

ونزول المطر من السحاب : قضاء .

ونموّ النبات والشجر على حسب سنة الوجود : قضاء .

وتفتحّ الأزهار وذبولها وسقوطها : قضاء .

ومرضُ من يمرض ، إذا تعرّض لأسباب المرض : قضاء .

وموت من يموت ، إذا جاء أجله المسمى ، المرتبط بالأسباب المقدّرة : قضاء .

وشفاء من يشفى إذا تعاطى أسباب الشفاء : قضاء .

ودخول المؤمنين الجنة : قضاء .

ودخول الكافرين والعاصين النار ـ والعياذ بالله تعالى ـ : قضاء .

ما هو القدر ؟

والقدر : التقدير .

ومعناه : أن الله تعالى قدّر الأشياء في القِدم ، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ، وعلى

صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ماقدرها الله تعالى .

في الحديث الشريف : أن كفار قريش ، جاءوا إلى النبي ﷺ ، يخاصمونه في القدر ، فنزلت هذه الآية : ﴿ إن المجرمين في ضلال وسُعُر ، يوم يُسحَبون في النار على وجوههم : ذوقوا مسَّ سقر ، إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر ﴾ [١] ـ أي بتقدير سابق عليه ـ .

وفي الحديث الشريف : « كتب الله مقادير الخلائق ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » [٢] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

الشقيّ من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره .

فسمعه رجل ، فأتى حذيفة فأخبره بذلك ، وقال : كيف يشقى رجل بغير عمل ؟!

فقال له حذيفة : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول

---

(١) ٤٧ ـ ٤٩ القمر .

(٢) مسلم والترمذي .

الله ﷺ يقول :

« إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله لها م كاً فصوّرها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها .

ثم قال : يارب ، أذكر أم أنثى ؟

فيقضي ربك ماشاء ، ويكتب الملك .

ثم يقول : يارب أجله ؟

فيقول ربك ماشاء ، ويكتب الملك .

ثم يقول : يارب رزقه ؟

فيقضي ربك ماشاء ، ويكتب الملك .

ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على ماأمر ولا ينقص » (١) .

وفي الحديث الشريف : « إن الله عز وجل ، قد وكل بالرحم ملكاً ، فيقول :

---

(١) مسلم .

أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة .

فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال الملك :

أي رب ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه »[١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسَل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات :

يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ـ أي الذي كتب له في بطن أمه ، فتأتي الخاتمة على وفق السابقة ـ فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها .

---

(١) البخاري ومسلم .

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها » [(١)] .

وعن طاووس رضي الله عنه أنه قال :

أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون :

كل شيء بقدر الله تعالى .

قال : وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول :

قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر ، حتى العجز والكَيْس » [(٢)] ـ أي حتى البلاهة والفطانة ـ

وفي حديث جبريل عليه السلام ، حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، قال : « أن تؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » [(٣)] .

فالله تعالى فاعل مختار ، لايقع في ملكه إلا ما يريد ،

(١ و ٢ و ٣) البخاري ومسلم .

وكل ما يقع في الكون معلوم له قبل وقوعه ، وموافق لما أراده .

فإن الله تعالى قدّر أن الحبة الصالحة ، إذا أُلقيت في التربة الطيبة ، وأُجري عليها الماء ، نبت منها نبات .

وقدّر أن نواة التمر تنبت نخلة ، ولا يمكن أن تنبت غير النخلة ، فلا يمكن أن تنبت زيتونة مثلاً .

وقدّر أنه إذا اتصل الذكر بالأنثى ، من الإنسان والحيوان ، مع سلامة الأعضاء ، وموافقة الزمن ، والاستعداد ، تكوّن نسل من جنسه .

وقدّر أن يولد الإنسان طفلاً ، ثم يصير صبياً ، فمراهقاً ، فشاباً ، فكهلاً ، فشيخاً ، فهرماً ، إذا امتد به عمر .

وقدّر أن يمنحه قدرة وإرادة ، يزاول بهما ـ بإذن الله ـ مصالحه ، ويسعى في كسب رزقه ، وجلب ما ينفعه ، ودفع ما يضره .

وقدّر أن يمنحه أنواعاً من الهدايا ، يميز بها النافع من

الضار ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال .

وقدّر أن يرسل إليه رسلاً ، يرشدونه إلى ما فيه خيره وصلاحه ، وربط باتباعهم وطاعتهم سعادته ، وبمعصيتهم والمخالفة عن أمرهم شقاوته .

وقدّر أن يكلّفه أنواعاً من التكاليف ، كلها في إمكانه ، فإن نهض بها أثابه ، وإن لم يفعل عاقبه .

وقدّر أن يجعله مختاراً ، فيما يأتي وما يدع ، وأن يجعل هذا الاختيار أساساً للتكاليف الشرعية ، حتى إذا ذهب الاختيار ، ذهب التكليف .

كلٌّ ميسّر لما خُلق له

كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم ، وفي يده عود ، ينكت به ـ أي في الأرض ـ فرفع رأسه فقال :

« مامنكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار .

قالوا : يارسول الله فلَم نعمل ؟! أفلا نتكل ؟

قال : « اعملوا ، فكل ميسّر لما خُلق له » .

ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى ، وصدّق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى [١] وأما من بخل واستغنى ، وكذّب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ﴾ [٢] ـ وهي النار والعياذ بالله تعالى منها ـ .

وقيل : يارسول الله ، بيّن لنا ديننا ، كأنا خلقنا الآن ، ففيم العمل اليوم ؟

أفيما جفّت به الأقلام ، وجرت به المقادير ، أم فيما نستقبل ؟

قال : « لا ، بل فيما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير .

قيل : ففيم العمل ؟!

قال : « كل عامل ميسّر لعمله » [٣]

---

(١) وهي الجنة .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم والترمذي .

وفي رواية : قال عمر رضي الله عنه :

يـارسول الله ، أرأيتَ مـانعمل فيـه ، أمر مبتـدَع ، أو فيما فرغ منه ؟.. ـ أي قدر من قبل ـ

قال : « فيما قد فرغ منه يابن الخطـاب ، كل ميسَّر ، أمـا من كان من أهل السعادة ، فإنه يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء ، فإنه يعمل للشقاء .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال :

إن رجلين من مُزينـة ـ اسم قبيلـة ـ أتيـا رسـول الله ﷺ فقالا :

يارسول الله ، أرأيت ما يعمل النـاس اليوم ، ويكـدحون فيه ، أشيء قُضي عليهم ومضى ؟ أم فيما يستقبلون به ؟

فقـال : لا ، بل شيء قُضي عليهم ، وتصـديـق ذلـك في كتاب الله عز وجل :

﴿ ونفسٍ وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [1] .

---

(١) مسلم .

لاينبغي التنازع في القدر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

خرج علينا رسول لله ﷺ ، ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ، حتى كأنما فقىء في وجنتيه الرمان ـ أي احمّر من شدة الغضب ـ فقال :

« أبهذا أُمرتم ؟ أم بهذا أرسلتُ إليكم ؟ عزمت عليكم أن لاتنازعوا فيه » (١) .

وفي الحديث الشريف : « لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » (٢) .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه :
« إذا ذُكر القدر فأمسكوا » (٣) .

(١ و ٢) الترمذي .
(٣) الطبراني .

ندفع الأقدار بالأقدار

نحن مطالبون شرعاً أن ندفع أقداراً بأقدار :

فالجوع ـ مثلاً ـ من القدر ، ونحن ندفعه بقدر الطعام .

والعطش من القدر ، ونحن ندفعه بقدر الشراب .

والمرض من القدر ، ونحن ندفعه بالدواء ، وهو من القدر أيضاً .

ولو أن امرأ استسلم لقدر الجوع أو الظمأ ـ مثلاً ـ وهو قادر على دفعه ، ثم مات ، مات عاصياً لله تعالى ، الذي نهاه عن أن يلقي بنفسه إلى التهلكة .

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ [1] .

وقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا كل الإفصاح ، وأوضحه كل الإيضاح ، حين قيل له :

يارسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورُقىً نسترقي

---

(١) ١٩٥ ـ البقرة .

بها ، وتُقىً نتَّقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟

فقال ﷺ : « هي من قدر الله » (١) .

فانظر إلى هذا الجواب الحكيم ، الذي يحفز الهمم إلى العمل النافع ، ويُهيب بالناس إلى اتخاذ الأسباب ، والإمعان في الحذر .

وقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين أراد الرجوع من الشام لما فيها من الطاعون ..

قال : أتفر من قدر الله ياأمير المؤمنين ؟!

قال : نعم ، أفر من قدر الله إلى قدر الله .

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد المستطاع من العدة إرهاباً للعدو .

والمستطاع : هو ما يدخل في قدرة الإنسان ومكنته واختياره .

---

(١) أحمد وابن ماجه .

وذلك من باب دفع الأقدار بالأقدار ، وهو في وسع الإنسان ، وفي صميم إمكانه .

وقال عز وجل : ﴿ **وليأخذوا حِذرهم وأسلحتهم ، ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حِذركم ، إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ [١] .

فلولا أن اتخاذ الحذر مستطاع ، وفي الإمكان ، وفي مقدور الإنسان ، ما أمر الله العليم الحكيم به ، لأن الله لايكلف نفساً إلا وسعها .

فلا تتم مصالح العباد في معاشهم إذن ، إلا بمدافعة الأقدار بعضها ببعض .

ومدافعة الأقدار على نوعين :

الأول : مدافعة أقدار قد انعقدت أسبابها ولم تقع ، بأقدار

---

(١) ١٠٢ ـ النساء .

تدفعها وتحول دون وقوعها :

كمدافعة عدوّ مغير بالإعداد له .

وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [١] .

والثاني : مدافعة أقدار قد وقعت ، بأقدار تدفعها :

كمدافعة المرض بالدواء .

وإليه يشير قول الرسول ﷺ :

« تداوَوا عباد الله ، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء ، غير داء واحد .

قالوا : ماهو يارسول الله ؟

قال : الهرم » [٢] .

أما القعود عن مدافعة الأقدار ، مع القدرة عليها ، فهي

---

(١) ٦٠ ـ الأنفال .

(٢) أحمد وغيره .

من العجز الأثيم الذي نهينا عنه .

ففي الحديث الشريف : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرصْ على ما ينفعك ، واستعِنْ بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل :

لو أني فعلت كان كذا وكذا .

ولكن قل : قدَرُ الله وما شاء فعل .

فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1] .

ينهى النبي الحكيم عن العجز ، وهو القعود عن العمل مع القدرة عليه ، كسلاً وتهاوناً ، فإذا بذل الإنسان جهده ، وخرج الأمر من يده ، وأصبح في يد الأقدار التي لايمكن دفعها ، يقول : « قدر الله ، وما شاء فعل » ويرضى حينئذ بقدر الله صابراً ، ويخضع لمشيئة الله تعالى ، ولايستسلم للهمّ والحزن .

فالحرص على ما ينفع : هو مدافعة الأقدار بالأقدار .

---

(١) مسلم .

والعجز المنهي عنه : هو الاستسلام للأقدار مع القدرة على مدافعتها .

فلا ينبغي أن يحول الإيمان بالقدر بيننا وبين اتخاذ الحيطة والحذر ، والنظر في العواقب بالحزم والحرص على الخير ، والعمل على الظفر به ، والفرار من الشر ، والعمل على النجاة منه .

وقد علم الله تعالى ضعف الإنسان أمام قوة الغرائز ، أو أثر البيئة أو الوراثة ، وعلم سبحانه أنها قد تطغى عليه ، فتورطه في ألوان من الفتون ، فاقتضت رحمته أن يمحو بالتوبة النصوح أثر هذا الطغيان ، وأمر بالتوبة ، ليمحو بها قدر المعصية ، التي دفع إليها قدر الغريزة أو غيرها .

فمن دفع بقدر التوبة قدر المعصية ـ كما يدفع بقدر الطعام قدر الجوع والهلاك ـ فقد استمسك بالعروة الوثقى . ومن لجّ في عتوه ونفوره ، فعلى نفسه جنى ، وما ربك بظلام للعبيد .

وقدّر الله سبحانه وتعالى ، أن الجد سبب الظفر في الدنيا . وأن عمل الصالحات سبب الفوز بالنعيم في الآخرة ،

فإن قصّرنا في العمل ، وحاق بنا سوء تقصيرنا ، كنا جديرين باللوم والتثريب ، مستحقين لما أعد الله للمقصرين من الخيبة في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة .

لاينبغي أن نحتج بالقدر إذا قصّرنا في عمل كان في وسعنا أن نعمله ، فلم نعمله ، فحاق بنا مايستوجبه التقصير ، لأننا مأمورون أن نأخذ الحذر ، وأن نحتاط للأمر ، وأن نجلب لأنفسنا الخير ، وأن ندفع الشر ما استطاعنا إلى ذلك سبيلاً .

كل امرىء يدرك إدراكاً تاماً الفرق بين ما يأتيه أو يدعه طوعاً واختياراً ، وبين ما يصيبه وليس له فيه اختيار . ومن أنكر ذلك فقد سَفِه نفسه ، وأنكر عقله .

وإنا لنرى الإنسان إذا أخفق في الحصول على مطلب التمسه لتقصير منه ، عاد باللائمة على نفسه ، ثم عاود الطلب بعد إحكامه وسائله ، وإتقان ذرائعه ، واتخاذ الأسباب التي يعتقد أنها كفيلة بأن تحقق أمله ، وتظفره بحاجته .

ومن عجب أن القدر لايخطر بباله في ذلك ، ولايخطر بباله إلا إذا اقترف سيئة ، ليحمّل الأقدار تبعة ماجنى ،

وجريرة ما اقترف .

ولولا أن الإنسان يشعر كل الشعور ، بأنه مختار فيما يأتي وما يدَع ، ولولا أن الطاعات في وسعه وفي مكنته ، ومانزلت الشرائع ، ولا جاءت الأوامر والنواهي ، ولا أرسل الله الرسل ، ولا أنزل الكتب ، ولا أنذر ولا بشّر ، ولارغّب ولا حذر ، ولا جعل جنة ونعيماً ، ولا ناراً وجحيماً .

لو كان القدر سالباً لاختيار الإنسان أعماله الاختيارية ، لبطل الثواب والعقاب والتأديب والتهذيب ، والنصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخير ، والصد عن الشر .

بيني وبين طالب

وقف طالب أمامي مرة فقال : ياسيدي الأستاذ ، تأتيني خواطر أحياناً ، فأحب أن أعرضها عليك :

- لَم قدّر الله تعالى الهدى والضلال ، ولمْ يقدّر هداية فقط ؟!

ولِمَ قـدّر السعـادة لقوم ، والشقـاوة على آخرين ، ولم تكن سعادة فقط ؟!

ولِمَ كانت جنة ونار ، ولم تكن جنة فقطٍ ؟!

وماذنب العبد إذا قدّرت عليه ضلالة وشقاوة ؟!

فقلت : إن لهذا البحث علاقة بالخالق والمخلوق .

فلنبدأ بما يتعلق بالمخلوق ، فذلك ألصق بنفوسنـا ، وأقرب إلى حواسنا ، فنقول :

للإنسـان عقل يـدرك بـه الخير والشر ، وهـذا العقـل هـو منـاط التكليف ، والعـاقل مكلف ـ فلا تكليف على صغير ولا مجنون ـ

وللإنسان اختيار ، لاينكره ذو عقل :

فهو يقوم باختياره ، ويقعد باختيـاره ، ويـذهب ويجيء كذلك ، ويتوجه إلى الطاعة إذا شاء باختيار ، ويأتي المعصيـة إذا شاء باختيار ..

فليس له إذن أن يحتجّ بالأقدار .

وإذا أبى إلا الاحتجاج بها ، وعذر نفسه بها ، ضربناه فآلمناه ، أو سلبناه عزيزاً مما يملك مثلاً .. فيستاء .

فنقول له : إنما فعلنا ذلك بقضاء وقدر ، فاعذرنا فإننا مغلوبون على أمرنا ، كما تقول أنت ، فَلِم تعذر نفسك في معصية الله محتجاً بالأقدار ، ولاتعذر غيرك ؟!

فلا يعذرنا فتنهار حجته .

وقد نأمره بطاعة فيقول مُسوّفاً : حتى يهديني الله !

فنقول له : إن أمر الهداية كأمر الرزق .. والله تعالى رازق كما هو هادٍ ..

فكما تنتظر من الله الهداية من غير أن تسعى إليها .

فانتظر الرزق من غير أن تسعى إليه كذلك ، واقعد في بيتك ، وأغلق عليك بابك ، حتى يأتيك الرزق !

فيأبى ، ويقول : لابد من السعي في طلب الرزق .

فتنهار حجته مرة أخرى .

ونقول له أيضاً : أنت تحتج بـالأقـدار ، وتقول : كل شيء بقضاء وقدر .

وهذا صحيح ، فأمسك هذه الجمرة بيدك ، فإن قدّر عليك أن تحرق يدك أحرقتها : وإلا فلا !

فيأبى ، فتنهار حجته مرة أخرى .

ونقـول لـه : إن الإنسـان مفطـور على دفـع المكاره عن نفسه :

فمن داهمته سيارة مثلاً ، مدّ يديه من غير شعور ليدفعها عن نفسه ، مع ضعف اليدين وعجزهما عن دفع هذا المكروه !

والغريـق يتخبـط ، ويحـاول في تخبطّـه أن ينجـو من الغرق ، مع أن التخبط لاينجيه !

فلِمَ لايدفع العاقل عن نفسه المكاره التي يلقاها في آخرته ، بما أوتي من قدرة واختيار ؟!

خلاصة

نخلص من هـذا إلى أن السعيـد يتعـاطى أسبـاب السعـادة باختياره ، وهذا من القدر .

والشقي يترامى في أحضان الشقاء باختياره أيضـاً ، وهـذا من القدر .

وكل ميسّر لما خلق له ـ كما سبق بيانه ـ ولا عذر لمخلوق في شيء من الأقدار ، ولا حجة .

هذا ، وقـد أجمعت الشرائع الإلّهيـة ، والقوانين الوضعيـة ، والعقول البشرية ، على أن المجرم يستحق العقوبة ، وأن المسيء يستحق المؤاخذة :

فالوالد يرضى عن ولده إذا بره وأطاعه ، ويسخط إذا عقّه وعصاه .

ورب العمـل لايتسـاوى عنـده العـامـل الأمين المستقيم ، والعامل الخائن المتهاون في عمله :

فالعامل الجادّ المتقن المستقيم مرضيّ عنه ، ومرغوب فيه .

والعامل المهمل المتكاسل مسخوط عليه ، ومرغوب عنه ، ومنقور منه .

والأستاذ المدرس لايستوي عنده الطلاب جميعاً .

فالمهذب المجتهد محبوب مُقرّب ، والشرس الكسول مبغوض مُبْعَد .

فكيف بالخالق البارىء جل جلاله ؟!

وهو الخالق الرازق المحسن المنعم المتفضل !

كيف يجعل المحسن والمسيء ، والمؤمن والكافر ، والطائع والعاصي سواء !!

قال الله تعالى : ﴿ **إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ، أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، مالكم كيف تحكمون ؟** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ، قليلاً ما**

---

(١) ٣٤ ـ ٣٦ القلم .

تتذكرون ﴾[١] .

هذا ما يتعلق بجانب المخلوق في موضوع القضاء والقدر .

وبقي الكلام على مايتعلق بالخالق سبحانه .

فأقول : إن الله سبحانه وتعالى حكيم ، موصوف بالحكمة ، والحكمة وضع الشيء في محله ، وقد قضت حكمته تبارك وتعالى أن يكون إيمانٌ وكفر ، وهدىً وضلال ، وسعادة وشقاوة ، وجنة ونار ..

وعقل الإنسان قاصر عن إدراك هذه الحكمة في الدنيا ، وهو سيشهد لامحالة بالعدل الإلّهي والحكمة الإلّهية في الآخرة .

أما في الدنيا فمن أين لإنسان ضعيف خلق من تراب ، أن يدرك حكمة رب الأرباب ؟!

قال الطالب : ياأستاذ ، أليس قد يظنّ ظانّ ، أن هذا الجواب ، ناشىء عن العجز عن الجواب ؟

قلت : ليس الأمر كذلك ، وسأضرب لك مثلاً ، فيه

---

(١) ٥٨ ـ غافر .

للمسترشد مقنع إن شاء الله تعالى :

أنت طالب في المرحلة الثانوية ، وتتلقى من العلوم الطبيعية والرياضية ما تتلقى ، فإذا قرر لك أستاذك نظرية رياضية ، أو معادلة كيميائية مثلاً ، وفهمتَها أحسن فهم .. فهل يستطيع أستاذك أو تستطيع أنت ، أنْ تقررها لطفل صغير ، فيفهمها منك ، أو يفهمها من أستاذك ، كما فهمتها أنت ؟

قال : لا .

قلت : ولم ؟!

قال : لأن عقله لايتسع لمثل هذا .

قلت : وهذا الطفل الذي لايتسع عقله اليوم ، لإدراك هذه النظرية ، أو فهم هذه المعادلة ، أليس من المحتمل أن يكون في المستقبل القريب ، حين يكون في مثل سنك ، أحسن فهماً لها منك ؟

قال : بلى ، من المحتمل ذلك .

قلت : أو ليس من المحتمل أيضاً ، إذا هو تخصص في هذه العلوم ، وبلغ سنّ أستاذك ، أن يفوق الأستاذ نفسه في علومه هذه ؟

قال : بلى ، ويمكن ذلك أيضاً .

قلت : قد وصلتُ بك إلى المطلوب ، فاسمع ما أقول :

إذا كانت درجة إدراك الإنسان للعلوم ومعرفة الحقائق ، وهو في سن طفولة ، ثم في سن شباب ، ثم في سن كهولة .. تتفاوت هذا التفاوت العظيم ، فما بالك بالتفاوت بين عقل إنسان ضعيف ، وحكمة إله قوّي قدير ، عليم خبير ؟!

قال الطالب : شكراً لك ياأستاذ ، فقد أزلت من قلبي شبهات كانت تزلزل إيماني ، ووساوس أقضّتْ عليّ مضجعي ..

قلت : الحمد لله الهادي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

هذه المحاورة دارت بيني وبين طالب مسترشد عاقل ، فوصلت معه بعون الله تعالى إلى حقيقة ، خضع لها عقله ، وأذعن لها قلبه ، واطمأنت بها نفسه .

لكن جادلني في ذلك مرة أخرى ، طالب غيره ، سلك في جداله طريق العناد والمكابرة ، وكنت كلما وصلت به إلى مَقْنَع ، لفَّ ودار ، وعاد إلى الجبر ونفي الاختيار ، حتى كاد يُعييني أمره ، والطلاب ينتظرون نتيجة الجدال ، بعدما طال فيه المطال .

وكان الطالب قاعداً ، فقلت له : ياسيد فلان ، قم ، فقام .

ثم قلت له : اقعد ، فقعد .

فقلت له : ألستَ قد قمتَ باختيارك ، وقعدت باختيارك ؟

فارتبك ، ثم قال : بلى ، ولكن أنت أمرتني .

فضحكتُ وقلتُ : وكذلك فإن الله تعالى أمرك ونهاك ، وأنت مطالب بامتثال أمره ونهيه ، كما تمتثل أمري ونهي على الأقل .

فأُفحم وبُهِت ، وآمن الطلاب بالحق الذي ظهر ، والحمد لله رب العالمين .

وفي هذا مَقْنعٌ وكفاية ، لمن أراد الله تعالى به الهداية :

﴿ فمن يُردِ الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً كأنما يصّعد في السماء ﴾ [١] .

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [٢] .

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ [٣] .

☆ ☆ ☆

---

(١) ١٢٥ ـ الأنعام .

(٢) ١١ ـ التغابن .

(٣) ٩ ـ يونس .

شوطان متباينان

جرت عقيدة القدر بالمسلمين شوطين متباينين أشد التباين ، متناقضين أبعد التناقض ، فلقد كانت في أول الأمر ، دافعة إلى العمل ، باعثة على الجد ، حاملة على خوض المعارك الدامية ، وركوب الأخطار الدانية .. ذلك يوم كانوا يعتقدون أن الآجال مقدرة ، وأن الإنسان مخلوق للعمل بما يرضي الله تعالى ، وأن كل امرىء ميسّر لما خلق له .

أجل ، لقد دفعت عقيدة القدر المسلمين الأوائل ، إلى ساحات القتال دفعاً ، وألقت بهم بين براثين الموت الزؤام إلقاء ، وطوّحت بهم إلى أجواز الفضاء وأثباج البحار ، دفاعاً عن دينهم ، وذوداً عن حياضهم ، وسعياً وراء أرزاقهم ، وهم واثقون كل الثقة ، أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم ، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأنه ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، فكان الإيمان بالقدر باعثاً دافعاً حافزاً مشجعاً ، لامثبطاً ولا مبطئاً .

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهو البطل المغوار ، والفارس النجيد ، والقائد المظفر ، يقول :

لقد خضت كذا وكذا معركة ، وما في بدني موضع شبر ، إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وها أنذا أموت على فراشي ، كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء !

أما الآخرون ، فقد فهموا هذه العقيدة فهماً خاذلاً مثبطاً معوّقاً ، فقعدوا عن الجد ، وإعداد العدة ، وتمهيد الأسباب ، واسترسلوا في المعاصي ، واستسلموا للعدو ، فخرج الأمر من أيديهم ، وطمع فيهم من كان لايدفع عن نفسه ، وغلبهم المغلوبون ، فباءوا بخسران مبين ، في أمر دينهم ودنياهم .

أثر الإيمان بالقضاء والقدر

للإيمان بقضاء الله تعالى وقدره فائدة عظمى في حياة المؤمنين ، فقد خلق الإنسان محباً للحياة ، راغباً في متاعها ، حريصاً على نفع نفسه ، كارهاً للآلام ، شديد الجزع إذا حلّت به .

قال الله تعالى : ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسّه الشر جَزوعاً ، وإذا مسّه الخير مَنوعاً ﴾[١] .

فمن اعتقد أنه موكول إلى نفسه ، وأن ما يصيبه من الخير ، لايرجع إلا إلى حسن تقديره وجده واجتهاده ، يأخذه الغرور ، ويتملّكه البطر ، وينسى شكر ربه عز وجل .

ومن حلّت به مصيبة ، فرأى أنه لاسبب لها إلا خطأ تقديره ، أو سوء تدبير من حوله ، لابد أنه يبالغ في لوم نفسه ، ويحقد على من حوله ، ويشتد حزنه في مصيبته .

فخير ما يعصم الإنسان من البطر والطغيان إذا أصابه الخير ، ويصرفه عن الحزن وضعف العزيمة إذا أصابه الشر ، أن يؤمن بأن ما وقع له ، قد جرت به المقادير ، فسبق به علم الله عز وجل ، وقضت به مشيئته .

قال الله تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير .

---

(١) ١٩ ـ ٢١ المعارج .

لكيلا تأسَوا [١] على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لايحب كل مختال فخور ﴾ [٢] .

والمؤمن بقضاء الله وقدره من أبعد الناس عن رذيلة الحسد التي توغر الصدور ، وتبعث على الشرور ، لأنه يعلم أن حسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، سخط على المقدور ، فيسلك إلى السعادة سبيلها المشروع ، فيقوم بعمله مطمئناً مستعيناً بالله تعالى ، معتمداً عليه ، فإن وصل إلى بغيته ، حمد الله تعالى وشكره ، على ما هيأ له من أسباب النجاح ، وإن كانت الأخرى لم يجزع ، ولم تَهِنْ عزيمته ، ولم يستسلم للأحزان ، ولم يحقد على أحد من الناس ، بل يتوجه إلى الله عز وجل ، ويسأله اللطف به في قضائه وقدره ، والصبر على بلائه .

والمؤمن بقضاء الله وقدره سخي لايبخل ، وشجاع لايجبن ، إذ هو يعتقد أنه لايقع له من يسر أو عسر ، وغنىً أو

(١) أي تحزنوا .

(٢) ٢٢ و ٢٣ الحديد .

فقر ، وحياةٍ أو موت .. إلا ما كتبه الله له ، فيقوم بعمله في الحياة خير قيام ، لايرهب إلا الله تعالى ، ولا يرجو إلا رحمته ورضوانه .

دعاء :

اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، حتى نعلم أنه لايصيبنا إلا ما كتبت لنا ، ورضّنا بقضائك ، وألهمنا الشكر على نعمائك ، والصبر على بلائك .

اللهم اختر لنا في قضائك ، وبارك لنا في قدرك ، حتى لانحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجّلت ، واجعل غناءنا في نفوسنا يارب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مطبعــة المدينــة

١١ ش أحمد العســقلانى

دار الســلام